نيسان (ابريل)
١٩٦٠
العدد الحادي عشر – السنة الثانية

الثقافة

مجلة فكرية جامعة

تصدر في دمشق

نيسان (ابريل)
١٩٦٠
العدد الحادي عشر
السنة الثانية

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية
دمشق ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل lisanerab.com

نحو وعي حضاري
أو
مقاييس الحضارة

بقلم : محمد المبارك

لابد لنا بادىء ذي بدء من تعريف الحضارة ومضمونها قبل الكلام على مقاييسها يقصد بالحضارة مجموع المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية في مرحلة من مراحل التاريخ وفي بقعة من بقاع الارض سواء شملت شعبا او اكثر .

وكل حضارة من الحضارات هي نتيجة سابقة بذلتها أجيال من البشر خلال عصور عديدة متطاولة ولكل حضارة صورة ظاهرة هي نتاج الجهود الماضية تجمعت في وقت من الاوقات ولها كذلك صورة كامنة هي امكانياتها التي لم تتحقق بعد واتجاهاتها واهدافها فقد تكون الحضارة في حالتها الحاضرة جميلة رائعة ولكنها تؤدي باتجاهاتها وتوصل بدوافعها الى التردي والتقهقر والخراب وتحمل في ثناياها بذورا فاسدة لاتبدو في الحاضر نتائجها .

فما هي المقاييس التي نقيس بها صلاح الحضارة او فسادها وخيرها أو شرها ونتائجها السعيدة او المشؤومة؟

ان من العسير بل من الخطأ ان تعيش الحضارة من جانب واحد وبمقياس واحد . ذلك أن غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الانسانية والحياة الانسانية معقدة كثيرة الجوانب فان فيها حياة فكرية عقلية وحياة مادية عملية معاشية وحياة نفسية خلقية وحياة اجتماعية الى جانب الحياة الفردية .

والحضارة الصالحة الخيرة هي التي ترتفع لهذه الجوانب كلها وتعدل بينها فلا يظلم جانب منها جانبا ولا ينمو واحد ويضمر آخر .

ان الحضارة الصالحة هي التي تفسح المجال لنمو العقل وتفتحه واكتشافه آفاق الوجود فتزيده علما ومعرفة نافعة وهي التي تزيد من قدرة الانسان على السيطرة على الطبيعة ليستثمرها لنفعه بعد أن يتحرر من سلطانها فترفع بذلك من مستوى حياته وتحقق له الكثير من رغباته وتزيد من سعادته وتسهل أمر معاشه وهي التي تمكنه

من سيطرته كذلك على نفسه على غرائزه واهوائه وتفسح المجال امام نفسه وروحه كما فسحت المجال أمام عقله لترتفع في آفاق اسمى ولتغير من ابتدائيتها وحيوانيتها فتنمي فيه الايثار والبذل مكان الاثرة والشح وتجعل هدفه الانسان الخير لنفسهوغيره لاتحقيق اللذة والاستئثار والوصول الى المراتب .

والحضارة الصالحة هي التي تزيد من تماسك الافراد في المجتمع وارتباطهم وتضامنهم وتكافلهم سواء من الوجهة المادية الظاهرة او من الوجهة النفسية والعاطفية وذلك بتحقيق المساواة في الفرص والمجالات والعدل في توزيع الحقوق المادية والمعنوية والرحمة في نيل الضعفاء من حق الحياة مالا ينالونه بقوتهم وجهدهم .

والحضارة الصالحة هي التي تحقق الاهداف المذكورة ارتفاعا وعلوا أي في أعلى درجة ممكنة وان تحققها سعة وافقا أي أن تشمل بتحقيقها اكبر عدد من البشر بان تنتشر في جميع افراد شعب من الشعوب بقدرامكانياتهم وان تنتشر كذلك في اوسع نطاق ممكن في شعوب الارض فقد تحقق بعض الحضارات النبوغ الفكرى او المعيشة الرخية او السمو النفسي لطبقة خاصة من الناس وتحرم منها طبقات أخرى تستطيع الوصول اليها .

ان الحضارات تختلف كذلك باختلاف ما تضعه من اهداف تريد بلوغها وما تؤمن به من مثل ومعتقدات فان الاهداف والمثل والمعتقدات قد تكون فاسدة فتتجه بالحضارة نحو الفساد أي نحو الانحطاط الفكري او المعاشي او الخلقي او الاجتماعي .

وان الحضارات دوافع ومحركات هي التي تدفع الناس الى بلوغ الاهداف وتحقيق المثل ومثال ذلك ان يكون الناس مدفوعين الى التعليم بدافع الحصول على المال او الى الحرب بدافع الاستيلاء على أرض غيرهم واموالهم او ان يكونوا مدفوعين الى ذلك بدافع حب العلم او ازالة الظلم او ارضاء الله تلك هي مقاييس الحضارة رفع مستوى العقل والنفس والعيش والتضامن الاجتماعي والشمول او سعة الافق والارتفاع او العلو وسمو الاهداف وصحة العقائد وصلاحها وسلامة الدوافع وحسنها .

ان الحضارة الحديثة التي نعيش في ظلها في العصر الحاضر هي ثمرة جميع الحضارات التي سبقتها وابرزها اليونانية التي تفتحت فيها البذور الاولى للعقل والمسيحية التي ربيت فيها النفس وهذبت العواطف والغرائز والعربية الاسلامية التي اتمت نمو العقل وفسحت امامه الآفاق وارتقت بالنفس ضمن شروط الحياة وظروفها ورفعت مستوى التضامن الاجتماعي ووسعت دائرته في شعوب كثيرة . ان الحضارة الحديثة ورثت تركة ضخمة غنية فنمتها من بعض جوانبها ولكنها اضعفتها في جوانب اخرى غدت ضامرة هزيلة .

لاشك ان الحضارة الحديثة فتحت للعقل الابواب وفسحت المجال واسعا وأكملت دون انتقاص ما بدأت به الحضارة العربية الاسلامية وزادت المعلومات البشرية وخاصة في موضوع الطبيعة زيادة هائلة حقا تدل على عظم الطبيعة وتدل اكثر من ذلك على عظم خالقها واستطاع الانسان بهذه المعلومات ان يسيطر سيطرة كبيرة على جزء من الطبيعة وهو جزء صغير جدا مع ذلك وليس له في هذا الافضل اكتشاف اشياء موجودة فتحرر بذلك تحررا كبيرا من سلطان الطبيعة عليه .

ورفعت الحضارة الحديثة من مستوى رفاهية الانسان وهيأت له وسائل الراحة في مأكله ومسكنه وتنقله ومواصلاته ومخابراته ووقايته ونوعت وسائل تلبية رغباته وملذاته وابتكرت له انواعا جديدة من الملاذ ويسرت

له تحقيقها .

ورفعت الحضارة الحديثة من قوة الارتباط والتضامن الاجتماعي ضمن اطار الشعوب بحيث يتمتع الفرد في داخل المجتمع بشيء كثير من الطمأنينة المادية والضمان الاجتماعي بما سنت من نظم وقوانين وضمنت كثيرا من حقوق الفرد المادية والمعنوية ولـكن في نطاق الشعب الواحد والدولة الواحدة .

لقد استطاعت الحضارة الحديثة ان تسمو كثيرا في الارتفاع فاوجدت نبغاء عظاما في الفكر او بعض نواحيه على الاقل ومرفهين الى حدود من الرفاهيـة التي هي اقرب الى الخيال ولكن نقص الحضارة الحديثة يبدو في عدة أمور :

أولها : ان دائرة تحقيقها لبعض اهدافها ضيقة فبينما نجد أن الحق في مجتمع معين كالمجتمع الانكليزي مثلا يضمن الى حد كبير نجد الانكليزي نفسه ينتهك هذا الحق ولا يقره في مجتمع آخر يعتبره دونه فلا يزال الظلم والغصب والقتل قانونا سائدا بين الشعوب فها هي ذى فرنسا في الجزائر وانكلترا في عمان تنتهك الحرمات في الانفس والاموال وهما هي ذى الشيوعية كذلك لاتبالي بازهاق الارواح وسلب للحريات وتهدر القيم الخلقية المتعارف عليها بين بني البشر بالنسبة الى الشعوب والجماعات غير الشيوعية .

واهم نقائص الحضارة الحديثة انها لم تبذل أي عناية في تهذيب النفس البشرية . انها لم تستطع ان تخفف مافي الانسان من اثرة وحب للذات واستئثار على غيره وطمع في كل لذة وشهوة في الجاه والمنصب وحب الاستعلاء وغير ذلك من الاهواء والعواطف والانفعالات التي تقف في سبيل نمو الحضارة وتضعف البشر وتحول دون ارتقاء النفس البشرية ذاتها . انها لم تستطع ان تزيد من حساسة الضمير البشري حتى يثور للحق ويغضب للظلم ويغار على انتهاك الحرمات لم تستطع ان تقوي فيها عاطفة الايثار والرحمة والنداء والتحرر والاخلاص ولئن كانت قد حررته الى حد كبير من سلطان الطبيعة فانها لم تستطع ان تحرره من نفسه مع ان نفسه جزء من هذه الطبيعة . انها اخفقت في هذا الميدان ايما اخفاق وبذلك لم تستطع الحضارة الحديثة ان تؤمن التوازن بين الناحية الفكرية والناحية الخلقية فحدث الاختلال والاضطراب .

ان دوافع هذه الحضارة ليست دوافع سليمة مبرأة بل هي في كثير من الاحيان دوافع غير اخلاقية انها كلها دوافع مادية الحصول على علم اكثر للحصول على انتاج اكثر ورفع الحياة المادية الى مستوى اعلى وتأمين اكبر عدد من الرغبات التي اكثرها مادي . ليس الانسان انى كان وأيا كان لونه وجنسه من بني آدم غاية هذه الحضارة وان كان يستفيد منها وليس الانسان في جميع جوانبه ونواحيه موضع اهتمامها .

ان هذه النقائص التي تبدو في الحضارة الحديثة بالذات هي القسم المكنوز غير المستثمر من تراثنا وحضارتنا السابقة وهي ايضا القسم الذي لم تستطع الحضارة الحديثة أن تسبق فيه حضارتنا بل ان تبلغ مستواها . ان تغيير النفس البشرية او تهذيبها وتوجيهها وتنمية النفس وشق الطريق لارتقائها من ابرز واخص نتائج حضارتنا .

ان توسع افق الحضارة في العالم وشعوبه في اتجاه افقي متزايد الاتساع وسمو الدوافع المحركة للمسير في آفاق الفكر والنفس والمجتمع بتقدم هما ايضا من خصائص حضارتنا التي لم تسبق في هذا العصر . ولكن لا يزال بيننا عبيد للحضارة الحديثة آمنوا بها وركعوا لاصنامها حين كفر بكثير من قيمها واهدافها كثير من

البقية على الصفحة « ١٣ »

الاسرة وتنظيم أوقات الفراغ*

بقلم : أديب اللحجي

أيها السيدات والسادة

يحلو لبعض منتجي الافلام السينمائيةأن يعرضوا بين حين وآخر مشاهد مما يسمونه « بالاسرة السعيدة » ؛ فيظهرون لنا هذه الاسرة المكونة من الزوج والزوجة والولدين (ويحسن أن يكون الولدان في هذه الحال صبيا وبنتا) ، يظهرون لنا هذه الاسرة وهي تعيش في بيت يرفرف عليه الترف من مختلف نواحيه ، تتوفر فيه شروط الاقامة المريحة ؛ قاعات مفروشة على طراز حديث ، هنا البيانو ، وهناك مكتبة عامرة بالمؤلفات الجميلة التجليد ، وفي ركن آخر مقاعد وثيرة وأرائك ؛ وتكمل الصورة في عين المشاهد ، حين يظهر لنا تسلسل الفيلم السينمائي الزوج وقد عاد من عمله مساء ، فوجد زوجته الانيقة الرقيقة ، تنتظر عودته،فيجلس الزوجان والولدان الى المائدة ، يأكلون ويتسامرون ويتحدثون فيما وقع لكل منهم أثناء نهاره ؛ ثم ينتهي العشاء الشهي ، فتنتقل الاسرة الى بهو الاستراحة ! الزوج يستلقي على كرسي وثير يطالع صحيفته المسائية ، والزوجة تتمدد على كرسي آخر مواجه لكرسي زوجها وتأخذ تشتغل في نسج قميص الصوف لابنتها ؛ والولدان يلهوان أثناء ذلك ، هذا يتصفح بعض الكتب المصورة بالألوان ، ويصنع بعض النماذج من الورق ؛ وهذه تنسق ركن ألعابها وعرائسها • فاذا ما دقت الساعة العاشرة مساء طبع كل من الزوج والزوجة قبلة تقليدية على جبين الولدين ، اشعارا لهما بأن وقت نومهما قد حان ، فيذهب كل منهما الى سريره ، ويستمر الزوجان بعد ذلك ، بعض الوقت يسمران فيما بينهما ، ثم يأويان الى فراشهما الناعم ، ويعاودان في اليوم التالي ما فعلا في اليوم السالف ، مع شيء من التجديد ؛ فقد يذهبان بصحبة الاولاد الى دار السينما ، أو الى زيارة اسرة صديقة ، أو قد يستقبلان في بيتهما ذات مساء حلقة من الاصدقاء،وفي نهايةالاسبوع تقضي الاسرة يوم عطلتها خارج البيت ، وهكذا ••

حياة عائلية حلوة ، تطبعها الوداعة والجدة والرخاء ، تناقضها في الطرف الآخر صورة لحياة عائلية مباينة ، هي حياة ما يسمونه « بالأسرة التعيسة »•••وفي هذه الصورة، ما يكاد الزوج ينتهي من عمله اليومي حتى يأخذ طريقه الى المقهى ليجلس الى أصدقائه ، فيلعب واياهم الورق أو النرد ، وما يكاد يعود الاطفال منمدرستهم حتى يرموا بكتبهم في البيت ويذهبوا الى الطريق يلعبون مع أترابهم ويشاكسون المارة ، ويتبادلون الكلمات المؤذية ، وما تكاد الزوجة تنتهي من أعباء البيت وأثقاله حتى تتزين وتلبس حذاءها الرشيق،ذا الكعب الدقيق ، وتذهب الى صديقتها لتتحدثا في مشكلة الجارة فلانة المتصابية ، التي اشترت ثوبا من الجوخ يصلح لبنات العشرين لا لأمثالها من بنات الخمسين أو في مشكلة الممثلة السينمائية فلانة ، التي يبدو أنها على وشك الطلاق من زوجها الثالث للزواج من مرشح رابع•• وهكذا ، وبعد أن يقضي كل فرد من أفراد الاسرة وقته في عالمه ومع جماعته الخاصة ، يعود الى البيت يأوي الى سريره ، ثم يعاود الاسلوب ذاته في اليوم التالي ، اذ أن البيت في مفهومه يعني أمرين فقط : مطعما ومنامة • فاذا حدث لسبب أو لآخر ، أن التقىأفراد الاسرة في البيت بعد انتهاء أعمالهم ، كان الالتقاء مناسبة طريفة للتخاصم والتراشق ببعض الكلمات الجارحة ، أو مناسبة لتعبير كل فرد من أفراد الاسرة عن ضجره وسأمه من البيت ، ومن حياة البيت •

بين هاتين الصورتين المتناقضتين ، تتأرجح حياة الاسرة بوجه عام ، وتنقضي أوقات الفراغ بوجه عام • وقد

(*) المحاضرة التي القاها الاستاذ أديب اللحجي في منتدى سكينه في دمشق

يكون في الصورتين شيء من المبالغة والتزويق ، ولكن الواقع العائلي مليء بأمثال هذه الصور ، بل بصورأروع منها سواء من حيث السلب أو الايجاب،من حيث التلاحم والتعاون ، أو من حيث التفكك والتدهور .

وليس يعنينا هنا أن نبحث في موضوع الاسرة ، أو في مشكلاتها ، أو في عوامل قوتها وضعفها . انما نود أن نقارب موضوعا واحدا من موضوعات الاسرة ، أعني موضوع قضاء أوقات الفراغ ، مكتفين بطرح هذهالمشكلة على شكل ملاحظات وانطباعات واقتراحات .

* * *

مما لاشك فيه أن المجتمعات التي لم تبلغ بعد مرحلة من التطور الحديث في مجالات التخصص ، وتوزع العمل ، والنمو الصناعي ، وتعقد العلاقات الاجتماعية ، لا تعاني مشكلة اسمها مشكلة تنظيم أوقات الفراغ . فالمجتمع الريفي في بلادنا مثلا ، يتميز بالنشاط الزراعي، والعمل القليل خلال فصول السنة ، وقلة وسائلالتسلية، وبساطة النشاط الاجتماعي وبالتالي بساطة العلاقات بين الأفراد . ان مجتمعا كهذا لا يشكو من مشكلة أوقات الفراغ ، بل لعله يشكو من مشكلة وفرة هذه الاوقات التي يحار الفرد كيف يقطعها ، ويبددها ، لأن فترة الفراغ تكاد توازي فترة العمل من حيث مدتها في السنة الواحدة .

أما في مجتمع المدينة ، وعلى وجه أخص في مجتمعات المدن الكبرى ، والمراكز الصناعية ، فهناك تزايد فيتقسيم العمل ، واطراد التخصص،وانفاق الجهد اليوميالمركز، بحيث يضع حرية الفرد في تنظيم عمله وفي تحديد مدته ، مقلصة ، بل شبه محذوفة . ان انسان العصر الحديث يعيش على أعصابه ، اي ان الطاقة العصبية التي ينفقها في عمله اليومي ، وفي ضوضاء المدينة ، وصخب المصنع ، وضجيج السيارات والناس ، وفي جو مشبع بالهواء الفاسد المليء بالغازات والدخان ، ان هذه الطاقة العصبية اليومية التي ينفقها ابن المدينة الحديثة ، تجعل من أوقات الفراغ بالنسبة اليه شيئا مقدسا ، شيئا ثمينا يحسن قضاؤه بما يمتع النفس ، ويبهج القلب ، ويشبع فيهما النشاط والحيوية والفرح . لقد أخترع انسان القرن العشرين الآلة كي يتحرر بها من سلطانالطبيعة ، ويخفف عن نفسه بفضلها من مشقات العمل اليومي ، وأخترع انسان القرن العشرين وسائل الرفاه والتسلية ومختلف أنواع السلع الاستهلاكية كي يبدد عن نفسه العناء والمشقة اللذين يخلفهما ثقل العمل وتعقده ، وما يتطلبه من مجهود عقليونفسي.وبتعبيرآخر أرادالانسان من أختراع الآلة أن يصبح سيد الطبيعة وسيد الآلة معا ، غير أن هذه ما تزال السيدة الى حد بعيد ، وأراد من اختراع وسائل التسلية أن يلطف من همومالعملاليومي، غير أن هذه الهموم ما تزال قائمة بنسبة تقل أو تكثر ، تبعا للاسلوب الذي يتبناه المجتمع في تلطيف حياة الفرد.

وليس غريبا أن نقرأ في تقارير واحصائيات البلاد الغربية أن نسبة المصابين بالاجهاد ، والوهن العصبي ، مرتفعة بصورة مخيفة ! فثمة مشهد يومي مألوف يراه كل من يزورالمدنالكبرى كباريس أو لندن أو بروكسل أو هامبورغ . يرى في الصباح أفواجا من الناس،ذكورا واناثا ، يعدون بالألوف ، بعشرات الالوف ، يزدحمون عند مداخل قطارات المترو،ويركضون في دهاليز محطاته المضاءة بالكهرباء ، ليبدلوا قطارا بآخر ، ويتدافعون لدخول عربات القطار ، ويضغطون على بعضهم بعضا بأجسامهم ، وكل منهم يقذف بأنفاسه في وجه الآخر ، ويجري القطار تحت الارض حاملا هذه الكتل البشرية الهائلة الى أمكنة عملها ، فيقذف بها في محطات الوصول، أو يتقيؤها على حد تعبير جون شتاينبك ، فاذا بهذهالكتل الانسانية تتراكض ، كل فرد منها في اتجاه ، كل منهم يجري الى عمله قبل أن يحين بدء العمل ، فقد قاربت الساعة التاسعة صباحا ؛ والآلة لا ترحم ، ورب العمل لا يقبل التأخر ، وعلى كل انسان أن يكون وراء مكتبه ، أو أمام أدواته وآلاته حين يقرع الجرس ؛ ويبدأ انفاق الجهد العصبي العقلي ساعات طويلة من اليوم يعود في نهايتها رب الاسرة الى البيت مرهقا،يحس بالنعيمالحقيقي

لكل دقيقة يقضيها بعيدا عن مكان عمله ، ويقوي في ذلك عامل المصنع أو موظف المكتب ، أو بائع المخزن ، أو مدير العمل ، ورئيس الدائرة الحكومية •

في مجتمع كهذا يحسب حساب لكل دقيقة منتجة ، ويراد الافادة من كل ما لدى الفرد من طاقة في مجال عمله ، ويكون الخضوع التام لقواعد العمل وقوانينه هو القاعدة الاساسية ، في مجتمع كهذا تطرح مشكلة أوقات الفراغ طرحا حادا ، كما تطرح مشكلة استخدام هذه الاوقات ، وأحسن الوسائل في استخدامها ، على أنها مشكلة أجتماعية انسانية هامة • وفي مجتمع كهذا يتجلى ما لفترات الفراغ من قيمة في حياة الفرد ، وفي حياة الاسرة ، وفي بنية المجتمع ذاته •

ذلك بأن استمرار الحياة الحديثة في التعقيد ، قد جعل طبيعة العمل معقدة من جهة ، ملزمة للانسان من جهة أخرى ، ان العمل يتطلب من الانسان أن ينصرف اليه ، أن يتصرف فيه ، ان صح التعبير ؟ فالانسان فان أما العمل فباق ، والعمل الحديث يشترط تخصيصا ، بل امعانا في التخصص؛وكل تخصص يعني تضييقا على الفرد في مجال الشمول ، أي تقلصا في انتشار شخصيته وتفتح مواهبه خارج ميدان أختصاصه •• وهنا يلعب التكرار ، تكرار العمل في كل يوم ، دورا كبيرا في افقار النفس ، وفي اشاعة الملل لدى الانسان • فنحن ، وان كنا نحب عملنا ، نحب في الوقت ذاته أن نجدد من قوانا ، وأن ننشط أذهاننا ، وأن نتمتع بالطبيعة ، ونتخلص من قيود العلاقات الاجتماعية ، ومواضعات الحياة الجماعية ، وأن نحرض قوانا العقلية والنفسية بأشياء جديدة • واذ أن العمل ، بشكله الانساني الراهن ، لا يسمح لنا بالتزود ، أثناء أدائنا له ، بأغذية اضافية جديدة ، فطبيعي أن نفيد من أوقات الفراغ في توفير هذه الاغذية الجديدة لشخصيتنا •

وتقول دراسات الاجتماعيين ، ان الانسان الحديث لا يملك أكثر من أربع ساعات في اليوم الواحد ، يمكن تسميتها بساعات الفراغ ، لا تدخل في هذه الساعات طبعا فترة نومه وطعامه • هذا في أيام العمل • يضاف اليها عطلة أسبوعية تمتد يوما واحدا في بعض المجتمعات ، وتمتد يوما ونصف اليوم أو يومين في مجتمعات أخرى•

ومعنى ذلك أن الوقت الذي يقضيه الانسان متحللا من أعباء العمل ليتفرغ الى ذاته وأهله ، قصير ، تجدر الافادة منه على خير وجه ممكن •

فما هي الاهداف التي ينشدها تنظيم أوقات فراغ الاسرة ؟ يبدو لي أن ثمة ثلاثة أهداف رئيسية :

أولا : تفتح شخصية كل عضو من أعضاء الاسرة •

ثانيا : نمو روح التعاون والصداقة بين الاعضاء •

ثالثا : انصراف أعضاء الاسرة الى العناية بشؤونهم وحل مشكلاتهم •

* * *

اذا سلمنا بأن أوقات فراغ الاسرة الحديثة قدأصبحت ضيقة،واذا سلمنا بأن العمل اليومي لافراد الاسرة يستنفذ قسما كبيرا من طاقتهم ، فليس هناك من سبيل الى اغناء شخصية الفرد الا باستغلال أوقات الفراغ ، واجادة هذا الاستغلال حقا ان العمل منهك للقوى كما قلنا ، ولكن الغاية من نشاط الانسان ، سواء في مجال كسب الحياة اليومي ، أو في مجال الاتصال بالمجتمع الانساني ، يجب أن تكون في انماء شخصيته ، وتعيق امكانياته ، وارهاف مشاعره وأحاسيسه • وبمعنى آخر ، يجب أن تكون شخصية الانسان هي الغاية ، لا الوسيلة•والديموقراطية الصحيحة ليست مجرد نظام حكم سياسي،بل هي فلسفة ونظرة الى الانسان • ومن أهداف الديموقراطية أنها تعنى بالفرد ، وبشخصية الفرد،وبكيان الاسرة ، بوصفها الخلية الحية الاولى في البنيان الاجتماعي • واذا كان الامر كذلك ، فعلى النظام الديموقراطي أن يهيء للفرد كل ما من شأنه أن يزيد من غنى نفسه ، وكل ما من شأنه أن يرفع من مشاعره ، وأن يسمو به الى مراتب أعلى في سلم الانسانية والفضيلة ، وتوفير أوقات الفراغ واحد من واجبات النظام الديموقراطي ، بل ان ارشاد الفرد والاسرة الى سبيل الافادة من أوقات الفراغ هو بدوره من واجبات الدولة الديموقراطية الصحيحة •

وكل نظام اجتماعي يجعل من الفرد اداة ووسيلة ، هو نظام سيء ، فاسد ، محكوم عليه بالفشل لانه يناهض جوهر الحياة الانسانية ، الذي هو تطلع ونزوع وارتقاء، نزوع الفرد الى أن يكون خيرا من أسلافه ، وتطلع الانسان الى حياة أفضل ، ومجتمع أمثل .

ولكن الفرد ليس وحده في الميدان. ان انماء الشخصية الفردية واذكاء مواهبها وطموحها لا يستطيع بالضرورة نمو المجتمع على أسس صحيحة . وقد يكون في العناية بالفرد دون العناية بالمجتمع تقوية روح الانانية وحب الذات على حساب روح التعاون والتضامن . ومعنى ذلك أن اتاحة السبل لنمو كيان الاسرة وتقوية اواصرها ضرورة حاسمة، بل شرط أساسي لكل اصلاح اجتماعي. انني لا أستطيع أن أتصور أسرة يعيش كل فرد من أعضائها في عالمه الخاص ، أو قوقعته الخاصة ، ويكون شعور التضامن والمشاركة الوجدانية ناميا فيها . فالتضامن يقوى بالمشاركة ، والمشاركة تنمو بالتعاطف ، والتعاطف يزكو بفضل التعايش واهتمام كل عضو من أعضاء الاسرة بمشكلات الآخرين . وكل ما يعيق الاسرة عن نموها وتفتحها ، يجب العمل على حذفه ومقاومته . ان مجتمعا حديثا يعيش فيه الرجل دنياه لوحده ، وتعيش فيه المرأة دنياها لوحدها ، ولا يلتقي فيه الابوان بأبنائهما الا على مائدة الطعام أو في مناسبات طارئة، ليس بالمجتمع النموذجي الذي تغبط الانسانية عليه . وطبيعي ، بعد أن أخذت المرأة في بلادنا ، تشارك الرجل بناء المجتمع ، وتسهم معه في العمل الاجتماعي خارج المنزل ، طبيعي أن نوفر لها ولزوجها أوقات الفراغ اللازمة ليستمتعا بهام أولادهما، كي تنمو مشاعر التعاون والمحبة بينهم ، ويخلوا بأنفسهم بعيدين عن الزامات الحياة اليومية وتبعاتها .

هذه الخلوة العائلية في أوقات الفراغ لها من الشأن والاهمية ما لها . ففي مثل هذه الآنات ينصرف أفراد الاسرة الواحدة الى العناية ببيتهم ، بعلاقاتهم، بمشكلاتهم. لقد شاهدت بنفسي في أوروبا أعدادا كبيرة من الاسر المتوسطة الدخل. (الزوج فيها يشتغل مهندسا، والزوجة تعمل في أحدى المصالح الحكومية) تستفيد من أوقات فراغها في تزيين بيتها ، وطلي جدرانه بالدهان دون أن تلجأ الى عمال يقومون بالمهمة . كانت هي تقوم بمثل الاعمال بنفسها ، ولم يكن العوز المادي ، ولا ضيق ذات اليد باللذين أمليا عليها هذا التصرف ، بل كان نوعا من النشاط العضوي والنفسي ، صرفته الاسرة في أوقات فراغها من أجل تحسين بيتها . وكان هذا النشاط في الوقت ذاته نوعا من الترويح ، وضربا من الرياضة . وأي ضير في أن يصرف أفراد الاسرة نشاطهم (بين حين وآخر) في عمل مختلف عن عملهم اليومي، ويعود عليهم بفائدة مادية ومعنوية ؟

* * *

على ضوء الاعتبارات التي أتيت على ذكرها ، تتنوع المجالات والميادين أمام الاسرة في قضاء أوقات فراغها .

والمبدأ العام الذي يجب احترامه في فترات الفراغ هو التالي : علينا أن نبذل نشاطا في أوقات فراغنا ، مختلفا عن النشاط اليومي المفروض علينا بطبيعة عملنا . فالقصد من وقت الفراغ ، كما قلنا ، هو الترويح عن النفس ، وانماء الشخصية في مختلف نواحيها، العضوية والنفسية والمعنوية.

ولن نتمكن هنا ، في حديث كهذا، من الاطاحة بجميع ضروب النشاط الترويحي الذي يمكن أن تصرفه الاسرة في فترات فراغها ، بل سنكتفي بعرض نماذج من مجالات هذا النشاط .

في اعتقادي أن ثمة مجالا يمكن اعتباره المجال الترويحي النموذجي ، أعني مجال الفن، من موسيقى وغناء ورقص ورسم وما شاكلها . ان هذا المجال هو الذي تستغله اليوم الاسرة الاوروبية في أوقات فراغها ، فقلما يدخل الانسان بيتا في اوروبا ، في المدينة أو في الريف ، دون أن يجد فيه بيانو، يعزف عليه واحد على الاقل من أفراد الاسرة. وليست الغاية من وجود هذه الآلة الموسيقية في البيت مجرد الزينة ، أو لاعداد عازف محترف من أعضاء الاسرة . انها للمتعة الفنية ، لاغناء الذوق الفني لدى العائلة ، للترويح عن أعضائها بتطوع أحدهم في العزف

على البيانو،والموسيقى كما نعلم ليست عذوبة فنية فحسب، بل هي ينبوع مشاعر ، ومصدر عواطف وخير ما يهدهد النفس بأنغام وألحان يشترك الجميع في تذوقها ، ويندمج الكل في جوها الساحر • والموسيقى فوق ذلك عامل أساسي في اذكاء الحس البديعي لدى الانسان • وبقدر ما يكون الانسان متذوقا للموسيقى ، تكون نفسه اكثر استعدادا وتقبلا للرقة والنعومة والصفاء •

فمن المؤسف ألا تفيد الاسرة عندنا من أوقات فراغها في انماء التذوق الموسيقي ، والعزف لدى أفرادها • ان الموسيقى لم تدخل بعد حياتنا البيتية ، وما زال المجتمع يعتبرها ضربا من الترف • والدليل على ذلك أنه ليس ثمة مؤسسات عامة لتعليم الموسيقى ، والحث على تذوقها ، وليس هناك من برنامج واع لانماء هذه الناحية ، ولا يشفع لنا أبدا ما تقدمه برامجنا الاذاعية من أغان وألحان للجمهور • فأكثر هذه البرامج الغنائية الاذاعية مائعة ، ومسيئة للذوق الفني ومن شأنها اثارة الانفعالات الحسية لدى الفرد أكثر من اثارة الشعور البديعي •

والامر ذاته يصح في النواحي الفنية الاخرى ، ان الاسرة عندنا لا تعتبر الرسم لونا من ألوان الترويح ، ولا تعيره الاهتمام الذي يستحق•وكم كان حريا بالدولة وبأفراد المجتمع أن يشجعوا على تذوق الفن ، وأن يحملوا السلطات المسؤولة على فتح أبواب المتاحف مجانا في وجه الناس مرة في الاسبوع على الاقل • وانه لمنظر مؤثر جدا حين كنا نرى الاطفال وقد صحبهم أهلهم أيام الآحاد الى متحف اللوفر أو متحف رودان أو كريفن فيقف الاطفال أمام لوحات ليوناردو ورامبرانت ورفائيل، وروبنس ورينوار ونمويا وغيرهم من كبار الفنانين العالميين ، يتملون منها ، ويرهفون مشاعرهم البديعة برؤيتها ، ويسألون أهلهم عن هذه أو تلك من دقائق هذه اللوحة أو تلك •

والمجال الثاني يمكن اعتباره مجالا ممتازا لقضاء أوقات فراغ الاسرة هو المطالعة • فأعظم مواسم دور النشر في أوروبا هي فترة عيد الميلاد وفترة ما قبل العطلة الصيفية• في هذين الموسمين تصدر دور النشرات المئات بل الالوان من كتب المطالعة والثقافة العامة : روايات ، أقاصيص تاريخية ، كتبا للاطفال•ذلك أن الناس في هاتين الفترتين يستريحون من أعمالهم اليومية ، ويرغبون في قضاء قسم من أوقات فراغهم في المطالعة ، لاستزادة ثقافتهم ، وانماء معرفتهم ، وتوسيع أفقهم الفكري • ويندر أن تذهب أسرة الى الاصطياف في أوروبا دون أن تحمل معها عددا من الكتب لقراءتها أثناء العطلة • وقد دلت الاحصاءات على أن متوسط شراء الاوروبيين للكتب يبلغ حوالي سبعة كتب في السنة • ومثل هذا الرقم كاف لاطلاعنا على ما لمطالعة الكتب الثقافية العامة من انتشار وذيوع •

واذا أردنا أن نشجع في بلدنا حب المطالعة لدى الاسرة ترتب علينا أن نقدم لجمهورنا المتعلم الزاد الثقافي اللطيف، الشيق ، وأن ننقل الى العربية عيون الآثار العالمية بأسلوب جميل ، واداء رشيق • وطبيعي بعد هذا أن يعنى الآباء بتنظيم مكتبة في البيت ، وبأغنائها بالقيم من الآثار الادبية والفكرية لتكون في متناول أفراد الاسرة،ينهلون منها في أوقات فراغهم ، ليزيدوا من ثقافتهم ، ويوسعوا من أفقهم الفكري •

* * *

والمجال الثالث الذي يحسن بالاسرة أن تستغله في أوقات فراغها هو ما يمكن أن أسميه بالمجال الاجتماعي والانساني •

ان الانسان متشوق بطبعه الى الجديد ، نزاع الى الاكتشاف ، ميال بالفطرة الى المشاركة الاجتماعية وفي كل واحد من هذه الميادين تستطيع الاسرة أن تمارس نشاطا رائعا في أوقات فراغها • فهناك ميدان الخدمات

الأجتماعية ، وبفضله يتطوع أفراد الاسرة لاداء قسم منها في أوقات فراغهم ؟ وهناك ميدان الريادة والكشف عن المناطق الجديدة في البلاد • ان أكثر المواطنين في بلدنا لا يعرفون الكثير عن مناطق وطنهم وبلادهم • ومثل هذا يتوفر حين تضع الاسرة في برامجها زيارة كل منطقة من مناطق الوطن ، خلال سنوات متعددة ، وبصورة متتالية • وضروري أيضا أن ينتمي أفراد الاسرة الى الاندية الاجتماعية والجمعيات الثقافية والفنية والرياضية ، وأن يسهموا في نشاطاتها ، فمثل ذلك يقوي لديهم مشاعر التعاون ، وينسق مجهوداتهم الفردية ويسمح لها بأن تتجلى بأسلوب جماعي • وهكذا ينظم أعضاء ناد ما رحلة الى منطقة من المناطق ، فيعدون برنامجها بأنفسهم،ويتولى كل واحد منهم مسؤوليات معينة فيها ، ويشترك الجميع في انجاحها ، فيعيشون معا فترة من الوقت ، يتاح لهم فيها تفتح شخصياتهم،وتحقيق أعمال ما كان لهم أن يحققوها لو أن كل واحد منهم أراد أداءها لوحده •

تلكم نماذج من مجالات استغلال الاسرة لاوقات فراغها وهناك طبعا بالاضافة اليها كلها ، المجال الشائع المعروف من قبل الجميع ، أعني مجال الرحلات وقضاء العطل السنوية في أماكن السياحة والاصطياف • ومثل هذا المجال مفتوح ، أو يفترض أنه مفتوح أمام كل أسرة ، تنشد لافرادها الهدوء وتبديل المناخ ، وراحة الاعصاب ، وممارسة الرياضات المنبثقة عن طبيعة الاصطياف ذاته •

ومما لا شك فيه أن على عاتق الدولة أولا ، وعاتق المؤسسات الاجتماعية ثانيا ، تقع مسؤولية تمهيد جميع السبل أمام الاسرة كي تحسن التصرف في أوقات فراغها، فالدولة ملزمة ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، بالاكثار من أماكن الترويح العامة ، كالحدائق والمتاحف،والمناطق السياحية والاثرية ، وأماكن الاصطياف ، ملزمة بتجميلها وتحسينها ، واتاحة الفرص أمام الاسرة لارتيادها ، بحيث يفيد منها أكبر عدد ممكن من المواطنين •

والدولة ملزمة بتوفير وسائل المواصلات بأسعار معتدلة ومعقولة للاسر التي تريد أن تقضي أوقات فراغها خارج مكان اقامتها، ان مؤسسات الخطوط الحديدية والسيارات العامة في أوروبا مكلفة من قبل الدولة بتخفيض أسعارها أثناء العطل الصيفية ، ومنح الاسر المصطافة بطاقات بقيمة تبلغ نصف أو ربع قيمتها الاعتيادية •

والدولة ملزمة بارشاد الاسرة ، بمختلف الوسائل والاساليب ، عن كيفية افادتها من أوقات فراغها ؟ أفليست غاية الدولة الصالحة تكوين المواطن الصالح؟ وهل يتكون المواطن الصالح اذا لم تكن الاسس التي تقوم عليها الاسرة ذاتها صالحة طيبة ؟؟

أيها السيدات والسادة :

انني اذ أشكر لوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ثقتها الكريمة حين كلفتني بالاسهام معها في معالجة طائفة من المشكلات الاجتماعية التي تحرص على اشراك المواطنين بمعالجتها وحلها ، أقدم لها اسهامي المتواضع ، بوصفي مواطنا يريد الخير لذويه ، وأبناء أمته ، ويتطلع معهم الى تحقيق المدنية الفاضلة ، الى اقامة مجتمع يسوده الوئام والمحبة ، ويسدد خطاه الايمان بالخير والفضيلة والنزوع اليهما ، وينشط في ميدان البناء الايجابي ، كي يدخل الحضارة الانسانية الحديثة من بابها الواسع العريض ، ويشارك في ارساء قواعدها السليمة ، وتحقيق قيمها النبيلة المثلى •

وانني اذ أتقدم بخالص الشكر لمنتدى سكينة حين فتح لي صدره الرحب لاتحدث اليكم ، انما أشكر للمسؤولين عنه في الوقت ذاته اهتمامهم بمشكلاتنا الاجتماعية ، وعنايتهم بها ، وتكريس جهودهم لما فيه خيرنا وخير أبنائنا • فلقد أدركوا أكثر من سواهم عظم المسؤلية الملقاة على عاتق أبناء هذا المجتمع ؟ وقد تطوعوا لحمل هذه المسؤولية بما يتمتعون به من روح نزاعة الى البناء • واذا كانت المسؤولية فردية في مجال التكوين الفردي ، فهي جماعية في مجال البناء الاجتماعي • وليس من سبيل الى اصلاح أسرتنا ومجتمعنا الا بتضافر جهودنا ، وايماننا بمثل انساني أعلى ، بمستقبل أفضل ، وغد أنبل ، نسعى اليه جميعا ، ونعمل من أجله جميعا ، والسلام عليكم •

أديب اللجمي

ربيع في الرمـــاد

قصة بقلم : زكريا تامر

كان في قديم الزمان مدينة صغيرة ، بنيت وسط حقول فسيحة خضراء يرويها نهر سخي المياه • وكان ناسهـا جميعا يحملون في جيوبهم قطعا من الورق السميك •• كتب عليها اسم من الاسماء • وهم مزيج من الاغنيـاء والفقراء •• الاغنياء مهذبون لطفاء للغاية ، يملكون أقنعة بيضاء وأحذية لامعة ، ويجيدون الرقص والتحدث بنعومة ويتقنون اتقانا تاما الانحناء برشاقة وتقبيل أيدي النساء ، وأطفالهم ينادون أمهاتهم برقة زائدة : ماما •

وكان الفقراء يقهقهون بخشونة في لحظات الفرح ، ويبصقون كثيرا ، ويؤمنون بأنهم سيحلون ضيوفا في جنة الله بعد موتهم ، وينادون أمهاتهـم بصوت فظ ممطوط : يا أمي •

وكان الاغنياء والفقراء يحترمون الموتى احتراما شديدا •• فعندما تمر جنازة يتوقف المارة عن المسير ، ويتألق الخوف والحزن في أعينهم ، ويساهم بعضهم في حمـل نعش الميت المجهول الاسم مسافة غير قصيرة •

وكانوا يقولون بخشوع لحظة يفتحون أفواههم لتتلقف اللقمة الاولى من طعامهم : بسم الله الرحمن الرحيم •

ويتمتمون في ختام الطعام : الحمد لله رب العالمين •

وعندما تأثم فتاة ما يفصل رأسها عن جسدها دون تردد بسكين كبيرة النصل • ويشتغل العمال في اليوم الواحد ثماني ساعات فقط •

ويتلاقى العشاق خلسة في عتمة دور السينما •• وهناك تتعانق الايدي بحرارة ثم تفترق لتحاول أن تفنى في رحلة بطيئة محمومة ••

اليد الخشنة تجوب جسد الانثى • ويدأب الاطبـاء على أسداء نصائحهم بوقار : امضغوا الطعام جيدا •• ناموا في وقت مبكر •• ابتعدوا عن السجائر والخمور • ويهز الكهول رؤوسهم بحسرة وأسف ويغمغمون : عم الفساد •• المرأة تلبس البنطال •• والابن لا يحترم أباه ••هذه هي العلامات المنذرة بانتهاء حياة العالم •

وكان الاصدقاء يقولون لبعضهم عندما يتقابلون في بدايه النهار : صباح الخير •

وكان لتلك المدينة رغم صغرها شمس تشرق في وقت معين •• ثم تأفل كذلك في وقت معين ، وكان لها أيضا ليل مرصع بنجوم كثيرة العدد •• تبهت حالما يبزغ القمر الابيض •

وكان ثمة رجل له اسم ما •• يحيا في هذه المدينة •• وجهه جمجمة التصق بعظمها جلد شاحب جاف • وكان يشتهي بضراوة ان يكون زهرة أو عصفورا أو غمامـة تحب السفر ، ولم تستطع الكآبة أن تهزمه رغم انه لن يكون لازهرة ولا عصفورا ولا غمامة تحب السفر •• ولكنه سئم من العيش وحده في منزل صامت موحش ، فصمم في لحظة من اللحظات الرمادية على شراء امرأة•• قد تؤنسه وتبدد بصوتها الصدأ المتشبث بأيامه ، وقصـد الرجل ذات يوم سوق الجواري ، واختار امرأة لهـا عينان كبيرتان ينتحب في غوريهما أسى ممتزج بسـحر شديد الغموض ، ودفع الرجل ثمنها وهو يقول لنفسه : ربما استطاعت ان تقتل القنفذ الباكي في دمي •

ولم يقل أية كلمة للمرأة اثناء سيرهما في الطريق

ولكنه عندما وصل الى المنزل سألها : ما اسمك ؟

فأجابت المرأة بصوت خفيض ناعـــم مرتعش بعض الشيء : اسمي ندى • وكان الرجل جالسا آنئذ بالقرب من المرأة واضعا على ركبتيه يديه الخشنتين اللتين كانتا ترتجفان فثمة دماء وحشية تهدر في عروقهما ، وتمنى لو تكون المرأة في تلك اللحظة عارية على شاطىء رملي •• تواجه بحرا أزرق يبلل نهديها بمياهه الساخنـــة المالحة •• وقال بلهجة مضطربة : من أي بلد أنت ؟

ـ ليس لي أي بلد •

فتأملها مليا ثم قال : أنت جميلة •

وكان فمها حيوانا غامضا صغيرا قرمزي اللون •• بدا لعيني الرجل أنه فم وحيد بطريقة ما •• وتقلصت أصابعه وسرت فيها رعدة قاسية وهو يقول بتؤدة : اسمك جميل أيضـــا •

فقالت المرأة وهي تبتســـم بغموض : اسمي الحقيقي شهرزاد •

فهتف الرجل وقد استولت عليه الدهشـــة : أنت شهرزاد ؟

قالت المرأة : أنا شهرزاد •• لم يحصدني الموت •• شهريار مات •

قال الرجل : لم يمت شهريار •• مازال حيا •

قالت المرأة : آه يا مولاي •

ـ انهارت مملكتي يا شهرزاد •

ـ افترقنا عن بعض •

ـ تهنا عبر الارض الكبيرة •

ـ بحثت عنك في كل الامكنة •

ـ أرغمني الجوع على البكاء •

ـ سجنت في غرفة موصدة الباب •

ـ صرت متسولا •

ـ مشيت في الطرقات وأنا متلفعة بملاءة سوداء •

ـ حفرت الارض بأظافري •

ـ عشت امرأة وحيدة في مدن يسكنها الرجال فقط •

ـ اشتراني رجال يملكون ذهبا •

ـ بصق في وجهي •

ـ أنا رجل مسكين •• لماذا تركتني يا آلهي ؟

ـ أوه كم تعذبنا •

ـ آه كم تعذبنا •

وتعانقا بعنف ، وانتحبا طويلا ، وهمس الرجل بصوت متهدج : أحبك فتطلعت اليه المرأة بعينيهـــا الكبيرتين المبللتين بالدمع ، وكانت تصرخ في أعماقها شهوة مـدت الى لحمه مخالبا لم يستطع الافلات منها ••

فاحتضن جسد الانثى بلهفة ، وما أن التصق فمـــه بفمها حتى تناهى الى مسمعه صراخ آت من الشارع :

ـ هجم الاعداء •• اقتلوا اقتلوا •• الى الحرب •

وتصاعد قرع طبل ذي ايقاع مهيب غاضب •• لـــم يقدر الرجل أن يتجاهله فأبعد عنه جسد الانثى بحركة صارمة ، فصاحت المرأة متوسلة : لاتتركني •• لاتحارب •• أبق بجانبي •

قال الرجل : اسكتي •• أزقة المدينة •• أمي الجريحة •• تناديني •

وتناول سيفه المعلق على الحائط ، وانحدر الى الطرقات حيث كان الرجال يتقاتلون في عتمة المساء ، واندفـــع الرجل الى قلب المعركة ، وشرع يسدد سيفه نحو أي صدر قدامه ، وكان يبتهج كلما انزلق النصل الطويـــل الصلب مخترقا اللحم اللين بحركة شرســـة ضارية • وحينما انتهت المعركة وقف الرجل وقد بلل جســـده العرق والدم ، وانتابه هلع شديد أذ تبين له بأنه هو الرجل الوحيد الباقي على قيد الحياة ، وأما الرجال الآخرون فقد تناثرت جثثهم على اسفلت الشوارع •• أكواما من اللحم الممزق •• فارتمى على الارض الدامية ، وطفق ينتحب

بمرارة بينما كانت النيران تلتهم منازل المدينة وقتلاها • وكف الرجل عن البكاء لحظة اقتربت منه النيران ، وسارع الى الهرب خارج المدينة حيث الحقول الشاسعة •• وهناك أبصر المدينة وقد استحالت الى كتلة ضخمة من نار حمراء متوقدة في قلب الليل الاسود ، فتهالك على الارض المعشوشبة مستسلما لنوم عميق ، ولم يستفق الا عندما أشرقت شمس نهار جديد •

كان السكون مهيمنا في كل الارجاء ، وكانت المدينة كومة كبيرة سوداء يتصاعد منها الدخان ، وسمع الرجل صوت بكاء خافت ، فأجال نظراته فيما حوله مستطلعا فوجد فتاة في مقتبل العمر مرتمية على العشب ، فدنا منها وسألها : لماذا تبكين ؟

– احترقت المدينة •• مات الجميع •

– اذن لم يبق أحد •

فلم تجب الفتاة أنما استأنفت نحيبها فسألها مرة ثانية : لماذا تبكين ؟

فقالت وهي تخفي وجهها في راحتيها : أنا جائعة •

فتركها الرجل ، وراح يبحث عن طعام ما ، واغتبط للغاية اذ عثر على شجرة تفاح ذات أغصان مثقلة بثمار ناضجة •• فاقتطف بعضها وحمله الى الفتاة ، وأخذ يراقبها بشفقة بينما هي تأكل التفاح بشراهة ، وعاوده الحنين لان يكون زهرة أو عصفورا أو غمامة تحب السفر وقال لنفسه متسائلا : هم اسم الفتاة شهرزاد ؟

ومسحت الفتاة وجهها بطرف ثوبها ، ورمقت الرجل بامتنان عميق •• كان وجهها وديعا •• فتذكر الرجل أيام طفولته الآفلة ، وقال بحزن :

– اذن لم يبق سوانا من الاحياء •

فظلت الفتاة صامتة غير ان شفتيها انفرجتا قليلا كأنها توشك على ان تشهق منتشية دون صوت •• شاهد الرجل وردة حمراء ، فاقتطفها وقدمها بارتباك الى الفتاة التي تقبلتها ببسمة خجولة •• أيقظت الفرح وجعلته يردد في شرايين الرجل أجمل أغانيه •

وعاون الرجل الفتاة على النهوض ثم سار بخطى نحو المدينة الميتة السوداء ، وسمعا بغتةعصفورا يغرد •• فتوقفا وتلاقت عيناهما في نظرة طويلة ، وخيل الى الرجل أنه يسمع ضجيج أطفال ممتزج بعويل ناي •

وتابع الرجل والفتاة مسيرهما وقد تعانقت يداهما بود وألفة •• وأمامهما كانت الشمس فتية وضاءة •

الى النيابة العامة

رقم الدعوى : ٤٦

رقم القرار : ١٤

تاريخ الحكم : ٢٣/١/٩٦٠

المحكوم : محي الدين بن صبحي طباخة من دمشق شاغور شماعين •

حيث ثبت اقدام المحكوم المذكور على جرم الاختلاس فقد صدر الحكم عملا بالمواد ٣٤٩ ــ ٣٠٠ من قانون العقوبات وضعه بسجن الاشغال الشاقة مدة ثلاثسنوات وحيث انه مازال فارا تقرر حجز امواله واملاكه واسقاطه من الحقوق المدنية عملا بالمادة (٣٢٩) من قانون اصول المحاكمات الجزائية •

لذلك ، نقدم اليكم نسخة عن هذه الخلاصة لتنفيذ مضمونها •

دمشق ١٤/٣/١٩٦٠

رئيس محكمة الجنايات

اعــلان

لطالبي وظيفة اطفائي في مطارات الاقليم السوري

الرقم ــ ٩١٢/ص

تعلن المديرية العامة لمصلحة الطيران المدني في الاقليم السوري انها ستجري في ثكنة فوج اطفاء مدينة دمشق مسابقة لوظيفة اطفائي في مطارات الاقليم السوري بتاريخ ٣٠ نيسان ١٩٦٠

يمكن مراجعة مصلحة الطيران المدني بدمشق ودواوين المحافظات في الاقليم السوري للاطلاع على مواد المسابقة وشروطها ، وتقبل الطلبات مع كامل الاوراق التفسيرية في مصلحة الطيران المدني بدمشق حتى غاية الدوام الرسمي من يوم الخميس الواقع في ١٤/٤/١٩٦٠

دمشق في ٢٠/٣/١٩٦٠

مدير عام الطيران المدني

يمني دملج

بقيـة المقال الاول

اهلها واصحابها . ان امثال هؤلاء في مجتمعنا من المتظاهرين بالثقافة من عبيد الغرب هم بقايا عصر الاندهاش والذهول حين وقفنا أمام مشاهد الحضارة الحديثة مندهشين مذهولين انهم يشعرون باحتقار الذات وتعظيم الغير انهم في حاجة لأن يفهموا حقيقة تاريخهم وجوهر حضارتهم وتراثهم ولكن يحجبهم عنه ركام كثيف من عصور الانحطاط ونظارات اجنبية مستعارة وضعوها على اعينهم انهم محتاجون الى الوعي الجديد المتحرر الذي دب في عالم العروبة ولا سيما في هذه الجمهورية العربية المتحررة وفي العالم الاسلامي كله .

انهم تخلفوا عن الركب وعاشوا في الماضي القريب ماضي تقديس الغرب وحضارته وازدراء الشرق وتراثه والطريف في الموضوع ان هذه الطبقة ينفخها الغرور فتظن نفسها قد وقعت على مالم يقع غيرها من العلم والفلسفة والثقافة وان غيرها غارق في الجهل فزادها الغرور بعدا عن الحقيقة وتنكرا للتراث فاصبحت في بني قومها اجنبية غريبة وكثيرا ما يكون العامة من الناس اصح فطرة واسلم تفكيرا واقوى شعورا بحقائق قوميته واوثق اتصالا بجوهرها واقوى على وصل حاضره بماضيه وتحقيق مستقبله على ضوئها معا ولعل الفرصة تتاح لنطبق مقاييس الحضارة التي عرضناها على حضارتنا العربية الاسلامية لنعرفها عن قرب وليكون وعينا القومي منبثقا عن علم ويقين وايمان .

محمد المبارك



يجري سحب الاصدار الشعبي الخاص الرابع
في مدينة دمشق بتاريخ ٤/نيسان ١٩٦٠

صدر حديثا

الامة العربية

في معركة تحقيق الذات

تأليف

الدكتور محمد المبارك

منشورات

مؤسسة المطبوعات العربية بدمشق

الاخت بالرضاع

(قصة مترجمة لفرنسوا كوبيد)

تعريب : زكية الصوفي

كانت السيدة بايار جالسة الى مكتبها في صدر المخزن .. مرتدية ثوبا أسود .. تكتب بتؤدة في سجل كبير ذي زوايا نحاسية .. عندما أقبل زوجها عائدا من مهماته الصباحية .. ووقف على عتبة المخزن يعاتب الحمالين الذين لم ينجزوا بعد تنزيل حمولة السيارة الواقفة على الرصيف والتي تحمل الى العطار السمين دزينة من براميل العقاقير .

وما أن دخل زوجها القفص الزجاجي حتى قالت له وهي تمسح ريشتها :

ـ لقد ماتت السيدة « فوازن » !

ـ مرضعة ليون ! آه يالمسكينة ! وابنتها ؟

ـ هذا أشد ما يحزن في الامر ياعزيزي .

لقد كتبت الي احدى قريباتها بأنهم فقراء جدا ولا يستطيعون أن يعيلوا الطفلة ولذا سيضطرون الى ارسالها الى الميتم . آه لهؤلاء القرويين !

وظل العطار برهة صامتا وهو يحك ذقنه العريضة.. وفجأة نظر الي زوجته نظرة تنم عما في قلبه من طيبة .

ـ قولي ياميمي ! انها أخت ليون بالرضاع ! لو أننا نتكفل بها !

فأجابت البائعة الجميلة ببساطة .

ـ لقد فكرت في الامر .

فصاح بايار قائلا :

ـ الحمد لله ! ودون أن يأبه لوجود عملائه وصناعه ، انحنى على زوجته وطبع على جبينها قبلة ، الحمد لله ! انك امرأة طيبة ياميمي . سنأخذ نورين الصغيرة ونربيها مع ليون ! ان هذا لا يفقرنا لا سيما وأن صفقة الكنكينا كانت جيدة .

سنذهب يوم الاحد الى (ارجنتوي) لنحضر الطفلة . أليس كذلك ؟ انها نزهة !

* * *

ان آل بايار لا ناس طيبون .. طيبون جدا .. انهم شرف الصيدلة .. ولا يزال يوجد مهما قيل ، كثير من الناس الطيبين مثلهم في التجارة الباريسية القديمة ، يحافظون على التقاليد ، ويقدمون الخبز المبارك الى الكنيسة ويذهبون الى الأوبرا ، ويجهلون سر البيع المغشوش .

لقد تزوج بايار ابن اكبر تاجر للعقاقير من ابنة اعرق تاجر للعنبر . ومنذ سنوات تعمل السيدة بايار بهدوء صيفا شتاء ، في القفص الزجاجي، ولونها الشاحب الجميل وشعرها المصفف ببساطة ، وجمالها يجعل جميع شباب الحي يحلمون .

ومع ذلك .. ظلت سحابة كآبة مخيمة مدة طويلة على هذه العائلة .. سحابة في سماء صافية .. لقد انتظرت طويلا قبل ان ترزق وريثا .. ولم يأت ليون الا بعد خمس سنوات . لنتصور سرور الجميع به .. انهم يستطيعون بعد اليوم ان يكتبوا على لافتة المحل التجاري « بايار وولده » .

ولم تفكر السيدة بارضاع ابنها اذ انها كانت مضطرة على العمل في المخزن كما انها لم تأخذ مرضعة له في البيت لخوفها عليه من هواء باريس الموبوء بل أرسلته الى (ارجنتوي) واكتفت بزيارته كل يوم أحد مع زوجها عند « نونو » الأم « فوزان » وأخذت تغدق عليها الهدايا من حلوى وقهوة وسكر وصابون ، وغيرها . وبعدثمانية عشر شهرا أعادت الأم « فوزان » الطفل بحالة جيدة جدا الى عائلته التي احضرت له منذ سنتين خادمة لتعتني به في البيت . وكانت هذه تذهب به لتنشطه في ساحة برج السان جاك ، وتقدمه بفخر لزميلاتها ليتأملن جمال وريث العطار ، ووجنتيه الحمراوين النضرتين ، وجسمه الممتلىء .

ولذا لم يتحمل آل بايار عندما بلغهم نبأ وفاة الأم فوازان أن يروا البنت التي رضعت مع ابنهم ، في ميتم ٠٠ وذهبوا ليحضروها من (ارجنتوى) ٠

يا للمسكينة الصغيرة ! لقد توفت أمها منذ خمسة عشر يوما ٠٠ فاحتضنها قريب لها يعمل في مقهى يقسرها على غسل الآنية وهي لم تبلغ الخامسة من عمرها بعد ٠

وسحر آل بايار بعينيها الزرقاوين وشعرها الغزير الاشقر الذي يظهر من تحت قبعتها السوداء البشعة ٠ واقترب ليون من أخته في الرضاع وقبلها ٠ واظهر القريب أمام العائلة الباريسية ، عطفا كبيرا على اليتيمة الصغيرة وكأنه لم يصفعها صباحا ليؤدبها على اهمالها تكنيس الغرفة ، وكان ذهابها يمزق قلبه ٠ ولم يعد اليه هدوؤه الا بعد أن طلب السيد بايار للجميع غداء شهيا ٠

وعند العودة في قاطرة الدرجة الاولى ، وضعت السيدة بايار رأسها على كتف زوجها ونظرت الى نورين وليون اللذين كانا يرقدان على ركبتي الخادمة النائمة وقالت :

ــ لقد أحسنا صنعا يافرديناند بأخذنا هذه الصغيرة، انها ستكون رفيقة لليون وأختا له ٠

وشبا كأخت وأخ ٠

انهم لأناس طيبون ، هؤلاء « البايار » انهم لم يفرقوا مطلقا بين اليتيمة الصغيرة وابنهم المحبوب الذي سيحتكر يوما تجارة الرواند ٠٠ واحبوها كم لو أن نورين اللطيفة الرقيقة الطبع والجسم كانت ابنتهم حقا ٠

٠٠٠ وأصبحت الخادمة تقود ولدين الى ساحة برج السان جاك ، عندما يكون الطقس جميلا ٠ كما خصص كرسيان مرتفعان على المائدة ، أحدهما للأخ والآخر لأخته في الرضاع ٠

ولاحظ الأبوان سريعا تأثير نورين الملأى حيوية، على أخيها اللينغاوي الطبع فكأنها كانت تعطيه شيئا من خفتها وحرارتها اذ ظهرت عليه بوادر النشاط منذ قدومها ٠

وبلغا سن التعليم ٠٠ كان ليون لا يصل الى نتيجة ٠٠ ويتوقف على كل حرف من حروف الابجدية المصورة حيث حرف الفاء تحت صورة (فيل) وحرف الحاء تحت صورة (حصان) وكادت أمه أن تفقد كل أمل في تعليمه ولكن ما أن خفت نورين ، التي تعلمت التهجئة وتركيب الكلمات بسرعة زائدة الى مساعدته ، حتى تقدم هذا تقدما كبيرا ٠

وكذلك عندما ذهبا معا للمرة الاولى الى المدرسة ، تملك ليون الرعب ، وكان يخشى عليه من المعلمة الآنسة ميرلان التي كادت أن تشل مواهبه ، وتحول دون تمكنه من فهم درس الجغرافيا أو الحساب ٠٠ لو لم تكن (نورين) هنا لتشجعه وتطمئنه ، وأصبحت نورين أحسن تلميذة في المدرسة ٠ وصارت لليون الكسول المتباخي خير عون ومرشد ٠

وعند الانصراف كانت الخادمة تعود بالولدين ، فيجلسان في المكتب الزجاجي بالقرب من السيدة بايار ، وتأخذ نورين بمساعدة ليون ليحفظ دروسه ويفهم ما استعصى عليه ٠

كانت مدام بايار تردد دائما أمام زوجها : ان الله يكافئنا ٠٠ ان نورين هذه كنز ، كم هي رزينة ! وكم تحب العمل ! سمعتها اليوم تدرس مع ليون ٠٠ واعتقد أنه لولاها لما استطاع أبدا أن ينجز مسألة الضرب ٠

فيجيبها زوجها : كوني متأكدة يا ميمي : انني لاحظت ذلك : فأعمالنا تسير سيرا مدهشا سنخصص لها دوطة ، وسنزوجها عندما يحين الوقت ، أليس كذلك ؟

وحان الوقت وبلغ الولدان سن الزواج ٠٠ وصارت تظهر في المخزن الزجاجي فتاة جميلة محشوة القوام ، شقراء الى جانب السيدة بايار التي ظهر في شعرها الاسود بعض الخيوط الفضية : ان نورين هي التي تكتب الآن في السجل الكبير ذي الزوايا النحاسية ، بينما أمها تسحب ابرتها في بعض المطرزات ٠

الساعة السابعة ٠٠ حان موعد عودة الرجال ، واغلاق المخزن ٠٠ أخيرا هما ذا مقبلان ٠٠ السيد بايار الذي سمن واستدار بطنه ٠٠ وليون الذي أصبح شابا وسيما وصيدليا من الدرجة الاولى ٠

واستهل السيد بايار حديثه قائلا :

ــ صباح الخير يا ميمي ! مرحبا يا نورين ٠٠ هيا بسرعة نتعشى ٠٠ سأخبركما بالحادث السعيد ونحن نتناول الحساء ٠

وصعد الجميع الى غرفة الطعام ٠٠ وبينما كانت السيدة بايار تقدم الحساء ، التفت اليها زوجها ، وقال لها بلهجة لاتخلو من دهاء :

ــ لقد انتهى الامر يا ميمي ٠

ــ هل قبل آل « فورجيه » ٠

ـ تماما ، وليون سيتزوج من اورتانس بعد ستة اشهر • وستأتي كنتنا لتقطن معنا • أجل يانورين ، لم تطلعي على شيء لأن مثل هذه الامور لاتثار أمام الآنسات • ان ليون يحب أورتانس فورجيه منذ أكثر من سنة •• ومنذ ذلك الحين ، وهو يزعجنا لنطلب له يدها •• لم يكن في الامر من صعوبة ، وما علينا الا أن نفوه بكلمة واحدة •• فليون نصيب جيد •• ولكن الصعوبة الوحيدة التي كانت تعترضنا هو اننا متمسكون باسكان ابننا عندنا • أما الآن فقد انتهى كل شيء •• وسيتزوج أخوك بالرضاع من المرأة التي يريد • اعتقد انك مسرور فأجابت نورين •

ـ نعم ! مسرورة جدا •

يا لهم من صم وعمي ! انهم لم يسمعوا صوت نورين عندما أجابتهم ••

كان صوتها العميق المتألم صدى لقلب محطم •• انهم لم يروا بأن لون نورين قد شحب ، وان رأسها الذي ثقل فجأة قد دار حول عنقها ، كما لو أنها سيغمى عليها انهم لم يخمنوا شيئا •• ولم ينتبهوا لشيء •• ولقد مضى عليهم وقت طويل دون أن يفهموا أو يتنبؤوا بشيء • انهم بدون شك يحبون نورين التي هي جمال البيت وسحره • انهم يفكرون حتى في تزويجها من أحد شركائهم ، أرمل وعندهوفر جيد،وكل مايلزم لاسعاد امرأةوليونايضايحبها من كل قلبهولكن كأخت لطيفةوطيبة••انهذاالصبي الضخم المدلل ، لايشك أبدا بأن نورين المسكينة تحبه ، وتتألم من ذلك ألما لاحد له •• لم يشكو بشيء ، حتى في هذا اليوم الذي فرضوا عليها فيه اكبر قصاص ممكن • ولم يتصوروا الحقيقة ، وناموا مرتاحي البال تراودهم أعذب الاحلام •• في الوقت الذي كانت فيه نورين في غرفتها ، غرفتها التي لا يفصلها عن غرفة أهلها الا حاجز رقيق جدا•• ملقية بنفسها على السرير ، مغشيا عليها من الألم •• وتعض على وسادتها كي تخنق عبراتها ••

انتهت الحفلة الراقصة ، وفي الصالات التي خلت من الزائرين ، أحرقت الشموع ، التي اشتعلت حتى نهايتها بعض الاواني الزجاجية فتحطمت ، وتناثرت قطعها على الارض •

وانتهى الاحتفال ، ودخل العروسان غرفتهمامع السيدة بايار التي مالبثت ان انسحبت ولما رأت عند خروجها نورين تساعد الخدم على اطفاء الانوار ، قبلتها بحنان قائلة :

ـ اذهبي الى النوم يا بنيتي ، انك بدون شك تعبة •

وأضافت ضاحكة : قريبا سيكون دورك •

وبقيت نورين وحدها في الصالة الصغيرة المظلمة التي لم يبق فيها الا شمعة واحدة تحترق في شمعدان على البيانو •

يا الله ما أقوى رائحة الزهور ! كم يؤلمها رأسها ! ياله من يوم هائل ! كم تألمت فيه ! كم تحملت من مشاق ! لقد قامت اليوم بعمل الخادمة •• ممسكة الدبابيس بشفتيها ، منحنية على قدمي اورتانس ، غريمتها ، تصلح لها ذيل ثوبها الابيض وتذكرت ليون عندما تقدم منها ، ممسكا عروسه من خصرها ، وجذبهااليه ليطبع العروسان معا قبلتهما على جبينها •

آه ! انها لم تعد تتحمل رائحة هذه الزهور القوية •• وتشعر بأن رأسها يدور •• وألقت بنفسها على أريكة منهوكة من ألم في رأسها شديد •• وضغطت على جبينها بكلتا يديها •• لم تغمض عينيها ، واستمرت تحدق في الباب الذي اختفى وراءه العروسان ! وراحت فيغيبوبة كم يزعجها هذا الاريج القوي • واستولت عليها الوف من الذكريات معا •• وتذكرت نفسها صغيرة في مقهى أرجانتوي ، حين جاءها هؤلاء الباريسيون وأخذوا يداعبونها حين قبلها الصبي الصغير الذي كان يضع ريشة بيضاء في قبعته •• ومرتفي مخيلتهاكثير من الصور السريعة الاخرى •• فتذكرت مدرسة الآنسة ميرلان التي كانت تغرز صنارتها في صدرها لتريها علبة الاوزان • وتذكرت مخزن العقاقير المغلق نهار الاحد ، حيث كانت تلعب مع ليون ويختبئان وراء الاكياس والبراميل •

آه يا الهي ! هل أضاعت رشدها ؟ هي ذي لاتستطيع أن تمتنع من تنغيم لحن الفالس الذي رقصت عليه بين زراعي ليون • ولكنها تختنق •• آه هذه الزهور ! يجب أن تبتعد •• او تفتح النافذة على الاقل ! ولكنها لا تقوى على النهوض ، ليست عندها القوة الكافية ! هل ستموت هكذا ! وكأن صدغيها مضغوطان بأصابع من حديد ! آه هذه الورود ! هذه الزهور ! زهور الليمون خاصة ! وأخيرا بذلت جهدا جبارا ، ونهضت منتصبة وشاحبة •• شاحبة الى درجة •• بثوبها الابيض •• ولكنها فجأة فقدت وعيها وسقطت على ركبتيها ، ثم ارتطم رأسها وكتفها بالارض ، وتمددت نورين السكينة على الارض على باب غرفة العروسين ، لقد قتلها الغم ، وقتلتها الزهور ••

زكية الصوفي

عامان مرا

بقلم : ياسين فرجاني

الفجـر اذن فأهنأ يا أخـــا العرب ... بالعيد يرفــل في اثوابه القشب ...
وافيت فجرك مرفوع الجبين على ... درب النضال كريم القصد والطلب ...

نعمى لقـــائك بالأحجـــاب فرقهـــم ... عنك الدخيل فعش في فرحة وطب...!
عيد العروبة غنت في مواكبـــه ... دنيا المحيطـين في كبر وفي طرب ...

نصـــر من الله والآمال مشـــرقة ... والبعث يزحم دنيــا الهول والنوب ...

بعث العروبـــة في أرجائها ألـــق ... بالزحف يهتك ستر الغيب والحجب ...
من ضفة المغرب الاقصى تحف بـــه ... حتى الخليج اساطير من العجب ...

* * *

غن البطولة ألحان الفـــداء وخـــذ ... في ناظريك جلال المشرق الطرب ...
واكحل جفونك بالبشرى وقد خطرت ... ملء الرباع وبالامجاد فاعتصب ...

اليوم يومـــك مزهوا بطلعتـــه ... يوم أغر على الاجيال والحقب ...
اني لأفخر في تيه وملء فمي ... صوت الآباء يدوي : انني عربي ...

* * *

يا مطلع الفجر هـــذى مقلتي رشفت ... ظمأى اليك رؤاها ... كل ملتهب ...
في عيدي السمع ، في فرعاء زاهيـــة ... قامت على الضاد والايمان والنسب ...

كهف الرجاء لقومي كلما عصفت ... ريح البلاء وأمت جهمة الـــكرب ...
الله أكبر وقد وحدتي ولظى ... في القلب تسعر ايمانا وفي العصب ...
الله أكبر هزت صيحة فرحـــا ... فينا مشـــاعر ذى حـــل ومغترب ...

اشجى مسامعنا اعـــلان وحدتنـــا ... الحلم حقـــق والآمال لم تخـــب ...

والنيل ضم الى احضانه بردى ... والرأي اصبح فصــلا غير منشعب ...

أسرى الى الشام وحي كنانتـــه ... يا بارك الله كـــم للوحي مرتقب...؟

فجر العروبة كان النيل مطلعه ... عم الشــآم صبـــاحا باسم الشنب...؟

* * *

لن يستحل علوج الغرب من وطني شبرا وفي دم الفرســان والنجب ...؟
اني نذرت دمائي دون تربتــه بالروح ادرأ عنها كل مغتصب ...
كم من شهيد قضى لم يبغ نائلــة روى التراب بطهر منه منسكب ...
أين التتار وأين الترك لو نطقت سمر الرمال لقصت سورة العجب ...
عين القنال على العدوان شاهدة ان كنت تصدق يا قرصانهـم أجب ...
مالي أراك دفنت الرأس في خجل بين الرمال وذدت العــار بالذنب ...؟
خل المزاعم لم تستر هزيمتــكم سود الســطور ولا رنانة الخطب ...
أعماك عما ترى في الحق قولته غل يفح لظى في سورة الغضب ...
يأبى التشدق تاريـخ يدونــه حق يجل عن التخريف والكذب ...؟

★ ★ ★

غرس من المجد رواه الفدى فنما جيــلا عليه يسير كل مطلـب ...؟
جيلا « جمال » الى التوحيد قائــده في كل معترك صعب ومضطرب ...؟
لم يحن هاما ولم يخضع لنازلة يوم الصدام ولم يحجم ولم يهب ...؟

★ ★ ★

آمنت بالثأر يغلي ليس يطفئــه عهد تقادم مهمــا كان من سبب ...؟
آمنت بالحقد حقدي ليس ينزعه مني الأساة وطفلي بعــد لم يؤب ...
اني سأرجع يا أرضي ومن عرقي اسقي ثراك وأبني الدار من تعبي ...
يا دير ياسين ياذكرى مبرحــة مازال طيفــك في عيني لــم يغب ...
يا دير ياســين يا عارا سأغســله بالثأر يهدر في صدري ويصرخ بي ...؟
مازلت أذكر في مغناك مذبحة شابت نواص لها من قبل لـم تشب...!؟
يا للفظاعــة لا شيخ به شفعت سن تنوء وما للطفـل من هرب ...!؟
يا للصبايا الحيارى عرضهن سبا للنذل والوغد والمسعور والكلب ...!؟
يا للايامى فلا يدرين من هلـع أين السبيل الى غوث ، ومن رعب ...؟
يا للنساء حبالى قد بقرن فــلا منجى بكل خضيب راعف ذرب ...؟
يا لليتامى صغــارا زاح ينهشهـم ناب الغوائل من دام ومن سغب ...!؟
يا دير ياســين يا ساحا تركت بها تحت العراء أخي في غصــة وأبي ...
هذى الخيام خيام اللاجئين فهل ألقي السلاح؟اذن برئت من حسبي...؟

فوق الجليل وفي أوراس مقبرة ... للغاصبين وفوق « الاخضر »اللجب ...؟
آمنت بالفتية الثوار قد نهدوا ... من كل اسمر كالعملاق منتصب ...؟
لا يرهبون جيوش البغي غازية ... أرض الجزائر ملءالساح والهضب ...؟
عهد العروبة ان تبقى جزائرهم ... عرباء فوق مجال الشك والريب ...؟

★ ★ ★

آمنت بالنظرة النشوى ترف على ... مغنى «اللواء» وعود جد مقترب ...؟
ان بيع بالامس مسلوبا ارادته ... فاليوم حق علينا عودة السلب ...؟

★ ★ ★

اني لالمح في بغداد غاشية ... دهياء تعصف بالاوثان والنصب ...!؟
ياطغمة السوء آن الحين فارتقبي ... يوما عليك رهيب الدرك والصبب ...!؟
دارت عليك رحى الاحداث فانقلبي ... يا طغمة السوء فيها أي منقلب ...؟
مد الفرات يمينا غير حانثة ... للنيل تقشع ما أزجيت من سحب...!؟

بغداد ثوري على الطغيان وانتقمي ... للثائرين فدى عينيك واحتربي ...!
ان العروبة معنى ليس يدركه ... دار الرشيد...هجين صاغر وغبي ...؟
آمنت بالجيش في عزم يسد على ... حشد اليود حفاظا كل منسرب ...؟

★ ★ ★

يحمي الحدود فلا الدنيا بقادرة ... من أن تلين له عودا على غلب ...!؟

كالطود يشمخ والاعصار عاتية ... والارض ترجف والاجواء في صخب...!
دون النفوس ودون العرض وقفته ... عند الحدود ودون المال والنشب ...!؟
جيشي الحبيب وهل غنيت قافية ... الا وفيك أبي الشعر والادب ...!؟

★ ★ ★

عامان مرا على افراحنا ولنا ... حلم يرف ندى النشر في الهدب ...!؟
نسرا يحلق في عليائه وطن ... عف الرغائب ، فوق الفلك والشهب...؟

عند المحيط جناح خافق وعلى ... صدر الخليج جناح غير مرتهب ...؟
سر « يا جمال » فعين الله كالئة ... والعرب خلفك ان ناديتها تجب ...!؟
يا « ناصر » العرب هذى خطوة وغدا ... كبرى ــ فديتك ــ فيها منتهى الأرب...؟
أنت الرجاء لقومي بعد فرقتهم ... آن الأوان فوحد أمة العرب ...؟

★ ★ ★

ياسين فرجاني

امي وعمي

بقلم حسن حمام

كنا ثلاثة اطفال وكان اكبرنا عدنان في الثامنة من عمره وأنا عمران في السابعة واختي ميسون في الخامسة • كنا نجلس جنبا الى جنب ساكتين واجمين كل واحد منا يمد رجليه أمامه فنشكل هلالا صغيرا مازال في غرته يتجه نحو العروس التي تجلس امامنا في الجهة الثانية من الغرفة • كان الوجوم والصمت المطبق يسود جو الغرفة ولا يسمع خلاله الا نشيج خافت وعبارات مواساة وتشجيع هادئة لينة تصدر عن بضع نسوة قد التففن حول العروس الباكية الناشجة • كنا نطرق برؤوسنا احيانا الا اننا لا نلبث ان نرفع اعيننا لننظر الى وجوه بعضنا ثم نرسل ابتسامة غامضة بلهاء وهو ينظر الي فاجيبه بعبوس نظرة الى العروس ومن حولها • كان أخي يبتسم احيانا واكتئاب • ثم نلتفت الى اختي فنراها رغم صغر سنها تسكب من مآقيها الدموع •

كانت بعض النسوة يقلن للعروس ، هذه ارادة الله ومشيئته ، فليس للانسان الضعيف يد في تصريف أمره ، والمرأة بفطرتها ضعيفة فلا تستطيع ان تعيش بغير الرجل والأقرباء الادنون مهما فعلوا وقدموا من اكرام فلا بد من ان يجدوا في من يعيش معهم من اقربائهم حملا ثقلا – ولو كان في ذاته خفيفا وواجب الحمل – يتأففون منه ومن اعالته ، والمرأة لا مأوى لها الا كنف الزوجية وهي لاتشعر بأن لها ذاتا وكيانا خاصا بها الا فيه ولو كانت في منزل والديها ، والوالدان مهما عاشا فلهما أجل محتوم ••• ثم انك ما زلت شابة ومن الظلم حين لاتعطين شبابك حقه ومتطلباته •

والنسوة في حديثهن هذا قد نسين او تناسين على مابدا من حديثهن ذلك الثالوث الذي يجلس غير بعيد عنهن في الطرف الثاني للغرفة ، الا انها هي لم تنسه فقد رنت اليه بنظرة حنان واشفاق لم يفت معناها عليهن •

فقلن : الله يرعى الجميع ولا ينساهم ، وعمهم وهو رجل سمح يتولى بعض شؤونهم وجدهم وهو رجل كريم يحبهم ويرعاهم ، يقوم بأمرهم هو وجدتهم •

وهمست احداهن في اذن جدتي : يجب أن يناموا ••

واقتادتنا جدتي الى الغرفة التي اعتدنا ان ننام فيها مع امنا ، وكان فراشنا مبسوطا على الارض مع فراش أمنا ايضا •

وقفنا نحن الثلاثة فوق فراشها وأخذنا ننظر الى بعضنا أخذت جدتي تربت على كتف كل منا تطمئنه وتدعوه الى النوم • واستلقى أخي عدنان واستلقيت أنا وبقيت أختي واقفة تكفكف عبراتها بصوت ضعيف •

ضمتها جدتي الى صدرها بحنان وأخذت تلاطفها وتدعوها الى النوم ، ثم استلقت معها في الفراش •

لم يعزب النوم عن جفني مثلما عزب تلك الليلة ، واظن ان أختي لم تنم أيضا ، أما اخي عدنان فراح يغط في نوم عميق •

اصوات وداع يمتزج معها صوت مبحوح باك يوصي بميسون •• وعمران •• وعدنان •• واذا بميسون تلقي عنها الغطاء وتندفع مهرولة باكية • أمي ••! الى أين••؟ ولمن تتركيننا ••؟ خديني معك ، لا أطيق بعدا عنك •

وتشبثت بأذيالها ، اذيال ثوب العرس الذي زالت جدته والذي تلبسه أمي للمرة الثانية •

كنت أقف على عتبة باب الغرفة اشاهد أختي متشبثة

بأذيال أمي العروس ترفع اليها عينين ضارعتين كسيرتين تنسكب منهما دموع غزار • كما كانت تسح من عيني أمي عبرات هتون فتكفكفها بمنديلها الحريري الابيض ، ثم رفعت أختي الى صدرها وأخذت تشبعها لثما وتقبيلا •

والنسوة لم ينبسن ببنت شفة هذه المرة فقد كانت تتحدث عنهن دموعهن الغزيرة • وانقلب العرس الى مأتم وكانت زغردة النساء فيه نشيجا ودموعا ، أما أنا فقد بقيت واقفا متحجر العين مكلوم القلب شارد اللب تائهـا في خضم هذه الاحداث •

وجاء جدي وأخذني من يدي الى فراشي ، وتخلصت والدتي من أختي ميسون ، وسمعت صرير الباب واصوات النسوة يودعن بعضهن ••

الى اللقاء ، ـ مع السلامة ـ الف بركة يا أم عدنان •

وارتفع عويل اختي •• ثم صر الباب ثانية •• واحكم الرتاج •

فقفزت الى النافذة ورحت انصت الى موسيقى وقع اقدامهن ، اقدام النسوة على رصيف الشارع في سكون الليل والظلام المخيم •

كنت أميز وقع قدميها على الطوار من اقدام النسوة الاخريات ، كان نشازا بين ضربات موقعة فقد كانت النسوة يمشين بخطوات ثابتة متزنة ، اما هي فكانت تسير بقدمين ضعيفتين متخاذلتين مضطربتين مترددتين •واصبح الصدى بعيدا ضعيفا •• ثم تلاشى •

بقيت متمسكا بقضبان حديد النافذة انصت الى الليل البهيم يحدثني بصمته المطبق والى النجوم تكلمني ببريقها الخافت ،والى نقيق ضفدعة خلته يجيئني من أغوار ساحقة •

كم اشجتني تلك الليلة ، وكم هزتني تلك الاحاديث، وكم وجدت في هذا السهر من شجو ولذة هدهدت أساي واشجاني • لماذا لا اسهر كل ليلة اتحدث الى نجومها واصيخ الى ظلامها وهدوئها وصمتها ، فان للنجوم وللظلام والهدوء أحاديث ساحرة مشجية •

ثم اذا بصوت المؤذن يتردد صداه في جوانب الليل الساجي ، واذا بغشاوة الليل تأخذ بالانحسار واذا بأصابعي تتراخى عن القضبان واذا بي القي بنفسي الى فراشي •

في أصيل اليوم الثاني لبسنا أحسن ثيابنا وأخذنا بأيدي بعضنا نحن الثلاثة وسرنا اليها ، الى أمي نزورها ، فقد اصبحنا نحن اولادها في بيت وهي في بيت آخر ، ونحن ما زلنا زغب الحواصل • ولا أظن ان الطيور تنفصل عن امهاتها مبكرة صغيرة مثلما انفصلنا نحن • كانت لنا أم تضمنا تحت جناحيها اذا جن الليل وكنا نتزاحم على قربها وعلى النوم الى جانبها في فراشها فكانت ترضينا نحن الثلاثة فتحنو علينا وترعانا •

أما اليوم فقد اصبحت في بيت آخر واصبحنا ننام نحن الثلاثة في فراش واحد نلوذ ببعضنا ونتجمع كما تتجمع افراخ الطيور في عشها ولكن دون جناح يطوينا تحته •

لا جناح يظللنا ولا حنان امنا يمدنا بالدفء والحياة •

تلقتنا أمي بذراعيها وراحت تشبع كلا منا تقبيلا وهي تمسك دمعة تضطرب في مآقيها •

ادخلتنا غرفة كان يتصدر فيها (عمي) كما اسمته فقدمتنا اليه • وتقدمنا منه على استحياء واضطراب مسلمين أنا وأخي عدنان أما أختي فظلت متشبثة بأمي تخفي نفسها وراءها •

كان ضخم الجسم منتفخ الاوداج تخاله في تنفسه يلهث ، جاحظ العينين قليلا ، غليظ الشدقين ، متوسط الانف ، أبيض الوجه تشوبه حمرة خفيفة •

قالت : أيهم اجمل أولادي أم أولادك ••؟• فنظر الينا نظرة امعان ثم قال : بل اولادك •

وخرجت من فيه كأنها زفرة مزمجرة •

بقينا فترة منكمشين واجمين نردد الطرف بين أمنا وهذا الرجل الذي كان موضعه منا ومن أمي غامضا في ذهني فلم استطع ان اتصور مقدار صلته بنا ولماذا انتزع أمنا منا ، ولماذا ذهبت امنا اليه وتركتنا بعد ان كنا نسمعها مرارا تقول وتردد بأننا نحن حياتها وروحها وانها لاتستطيع أن تحيا بعيدة عنا ، وقد كانت اذا ما تأخر أحدنا في اللعب خارج البيت تخرج وراءه متلهفة تبحث عنه حتى تأتي به•

لم يقع هذا الرجل موقع الرضى او الهوى من نفسي

فنفرت منه وضاق عنده صدري وشعرت كأنني وأنا قربه أكاد اختنق .

أهذا الذي كانوا يقولون لنا عنه غدا يكون لكم عم جديد ..؟ عم يقوم مقام أبيكم ، يحبكم وتحبونه يشملكم بعطفه ويغدق عليكم خيراته وترفلون بنعمه وعطاياه ..؟

لم أشك في معنى هذه العبارة الا أن . عم يقوم مقام أبينا ؟. فهل عساه لايعود ..؟

لقد كانت تقول لنا أمي دائما كلما سألناها عنه ، انه في سفر بعيد ولكنه سوف يأتي مهما طال غيابه ، وكان هذا الامل ينعش نفوسنا ويحيي فينا رغبة غامضة كنا نشعر بها كلما وقفنا أمام غيرنا من الاطفال وجها لوجه.

كنا نشعر امام اطفال الحي الذين كنا نلعب معهم باننا أقل شأنا وأدنى قدرا واضعف مركزا منهم. كان كل منهم يتحدث عن أبيه وماذا يجلب له من اللعب وما يتحفه به من الحلوى . أما نحن فنبقى صامتين وفي سرنا فقط كنا نتكلم ونردد بن أبانا سوف يحضر من سفره وسوف يأتينا بلعب كثيرة كما كانت تقول لنا أمي .

وكنا اذا ما تشاجرنا مع أحد ابناء الحي وتضاربنا نسمعه يصيح يا أبي ، وكنا نحن نصيح يا أمي أو يا جدي بعد أن ذهبت عنا أمي وشتان بين النداءين .

الان فهمت معنى تلك العبارة (يقوم مقام أبينا) ان أبانا لن يعود ..

بقينا عند جدي وجدتي لأمي ما يقرب من سنة ثم انتقلنا الى بيت عمي (الحقيقي) كما كنت انعته ، وقد فهمت بأنه طالب بنا لأنه كما قال لايستطيع ان يدفع لجدي وجدتي نفقة اعالتنا .

كان عمي صاحب مقهى يديره ويعمل فيه بنفسه ، وكانت عائلته تتألف من زوجة وابنتين صغيرتين كبراهما في سن أختي ميسون .

كان عمي لطيفا لينا معنا في أول الامر ثم أخذ يخشوشن ويقسو ، أما زوجه فقد نظرت الينا شزرا منذ أن دخلنا بيتها ، لم تضحك في وجهنا مرة واحدة ، حتى أنها لم تكلمنا الا بلهجة عابسة آمرة . وقد سمعتها مرات متعددة تقول لعمي انها لاتستطيع ان تخدمنا او تقوم على شؤوننا وانها لاتستطيع ان ترى في بيتها اولادا غير أولادها .

مضت الايام تتلو بعضها وأخذت حياتنا تستقر في بيت عمي وأخذ عملنا يتضح فيه ، فأختي ميسون أخذت تقوم بالاعمال المنزلية التي تستطيعها حسب قدرتها ،فكانت في أول الامر تكنس البيت وتمسح البلاط وتنقل الماء من صنبور الحي وتأخذ العجين الى الفرن . ثم أخذت تكثر أعمالها وتتشعب كلما اشتد عودها وربا جسمها . حتى أصبحت تقوم بجميع اعمال البيت . أما امرأة عمي وابنتاها فكن كأنهن انحدرن من اسرة استقراطية لايعرفن سوى التزين والخروج من البيت ثم اصدار الاوامر القاسية والتعنيف الشديد الى هذه المسكينة ميسون ، وان لم يكن ثمة داع لذلك .

كانت ميسون تضيق بهذه المعاملة السيئة والظلم الشديد وكانت كثيرا ما تنتظر مقدمي لتشكو الي سوء حالها ، وقد كنت اجيء في ساعة متأخرة من الليل من المقهى فأراها جالسة في فراشها تنتظرني لتحدثني عن الشتائم التي كانت تنهال عليها وعن الضرب المبرح الذي كان ينالها وعن الركل بالاقدام والحرمان من الاكل لاقل ذنب او هفوة تقترفهما . كانت الدموع تنثال من عينيها فلا أملك الا أن اواسيها واكفكف لها عبراتها واقبلها في جبينها وادعوها لتنام . كنا لانملك شيئا من امرنا ، وهل نستطيع ان نملك ونحن لاحول لنا ولا قوة ، او قل لا أب لنا ولا أم .

الى من نشكو سوء حالنا ..؟ الى عمي (الحقيقي) وهو أكثر ظلما من امرأته علينا أم الى زوج أمي الذي كنا لانراه في السنة مرة او مرتين ، والذي لم نر منه نظرة عطف او اشفاق او اهتمام ، ولم نسمع منه كلمة تودد أو تحبب .

ولم يهتم بنا ..؟ فنحن لم ندخل حياته ولم ندخل قلبه قط كما انه لم يدخل قلبنا فكان منا وكنا منه شرقا وغربا .

أم نشكو الى أمي التي شغلتها عنا هموم جديدة ونوازع

جديدة فأصبحنا لانراها الا لماما ، أم الى جدي او جدتي لأمي وهما عجوزان كبيران وقد اصبح بينهما وبين عمي جفاء بسببنا ..؟

نعم التجأنا مرة الى جدي وشكونا له مانلقى من ظلم وارهاق ، ولكن عمي عرف كيف يجعلنا لانشكو اليه مرة أخرى أو بالاحرى جعلنا لانشكو الى انسان ما .

جعلنا نحمل الظلم والارهاق والسب والشتم صابرين تخرج الانة من قلوبنا ولكنها لا تتجاوز حناجرنا . كان لديه عصامن شجر الرمان وحبل يربط به قدمينا ويشدهما الى حديد النافذة بعد أن يجعل يدينا وراء ظهرنا ثم ينهال علينا وعلى أقدامنا ضربا موجعا . كان ذلك يتكرر لكل هفوة نرتكبها صغيرة كانت أم كبيرة . أما عملي أنا وأخي فكان في المقهى ، كنا في أول الامر نقدم الماء للشاربين والنار لمدخني النارجيلة ونلبي الطلبات المختلفة للرواد و (الزبائن) . أما بعد أن كبرنا قليلا فقد تخصص كل واحد منا في ناحية ، فكنت أنا أعد النراجيل وأقدمها للمدخنين ، وكان أخي يقدم طلبات الرواد من المشروبات المختلفة .

واستراح عمي بوجودنا ، فبعد أن كان هو بنفسه يقدم طلبات الرواد من المشروبات ناب عنه أخي وأصبح هو يجلس على منضدته يشرف اشرافا عاما على المقهى . كنا نعمل بجد ونشاط وحرص على مصلحة المقهى وبالتالي على مصلحة عمنا لانها هي مصلحتنا كما كان يقول لنا ، لان المقهى هو الذي يطعمنا ويسقينا ويجعلنا نعيش بين البشر على حد تعبيره ، كان يمن علينا دائما بأنه يربينا في بيته ويطعمنا ويكسونا من ماله وليس هناك أحد يفعل مثل هذا الفعل لوجه الله ، وأنه اذا طردنا من عنده فليس هناك من يؤوينا أو يحن علينا بكسرة . وكان هذا التهديد والوعيد يتكرر في كل مناسبة ويفعل فعله فينا . فكان عمي يضعنا أمام الامر الواقع حينما يأخذ في تأنيبنا وهو يتساءل من يؤويكما أنتما وأختكما .... ؟ امكم .... ؟ انها في شغل عنكم بزوجها وأولادها ، وزوجها لا يرضى بكم فيكفيه ما عنده .

جدتكم ... ؟ انها قد أصبحت وحيدة لا معين لها ولا معيل بعد أن توفي عنها زوجها . من.. ؟ وهكذا.. انها حرب أعصاب كنا نهابها ونخشاها ونرى بيننا وبين أنفسنا (وان كنا لا نعترف بذلك أمامه) انه على حق ، فلولاهو لا كلنا القمل كما كان يلقي في روعنا . لذلك حرصنا أشد الحرص على العمل بجد فكنا نخرج من البيت مبكرين ولا نعود اليه الا في منتصف الليل . أما الاكل فكان أكثر ما يكون في المقهى .

كنت لا أحظى بالنوم الكافي فكنت أغتنم الفترات التي كان يقل فيها الرواد في المقهى فأجلس على كرسي أمام منضدة القي عليها برأسي أسرق شيئا من النوم وخاصة عند غياب عمي في بعض مشاغله .

وكثيرا ما كنت أصحو على صوت عمي يرعد صارخا بي للنهوض . واذا ما تثاقلت ... كانت الصفعات واللكمات تبعثني خفيفا نشيطا . زد على ذلك أن امرأة عمي كلما أرادت أن تغسل ثياب أهل البيت (ما عدا ثيابنا نحن الثلاثة اذ كنا نأخذها الى جدتي لتغسلها) كانت توصيني أن أصحو مبكرا حتى آتي لها بالماء من صنبور الحي أو كانت تطلب من عمي أن يرسلني قبل أن آوي الى فراشي لاحمل الماء واملأ الزير حتى تصحو مبكرة تبدأ غسيلها . وقد كان حمل الماء من صنبور الحي عملا ثقيلا على نفسي وجسمي معا ، فكنت اتأفف منه ولكن لا سبيل للخلاص منه . وقد كنت أحاول الهروب أو تكليف أخي عوضا عني الا أن عصا عمي كانت أقوى من محاولاتي فأرجع عن غيبي صاغرا مدحورا .

ولا أنسى مرة بعد أن توفيت جدتي وأصبحت ميسون تغسل ثيابنا حسب قدرة يديها الصغيرتين ان امرأة عمي طلبت مني أن أحمل الماء ، فاشترطت عليها أن تغسل لنا ثيابنا مع غسيلها فقبلت ، فرحت أنقل الماء واملأ الاوعية والخوابي . وجلست امرأة عمي للغسيل ، فقدمت لها ثيابنا ، فما كان منها الا أن نهرتني بغلظة قائلة : غدا تغسلها ميسون ، ارفعها من أمامي .

ذكرتها بوعدها مرارا وتكرارا مبينا لها أن يدى

ميسون الصغيرتين لا تطيقان ولا تستطيعان تنظيفها • فأجابتني بحدة ، لست خادمة لكم خذها من أمامي •

وغلا مرجل الغضب في نفسي مثل ذلك الماء الذي كان يغلي في (دست الغسيل) أمام امرأة عمي،وشعرت أن شيئا يتبخر من صدري مثل ذلك البخار المتصاعد من الدست • فغافلتها والقيت الدست عن النار فراح الماء يجري على الارض والبخار يتصاعد معلنا انفجار هذا الصدر عن ثورة عارمة • وركضت الى باقي الاواني أقلبها على الارض وافرغ ما في جوفها من الماء • أما امرأة عمي فبوغتت في أول الامر وعقدت الدهشةلسانها الا أنها سرعان ما أخذت تولول وتصيح ، ونادت ابنتها لتخبر عمي وتدعوه ليرى سوء عملي • وصحت بابنتها ان اذهبي وأخبريه ، فلست أبالي بأحد •

قصت القصة على عمي وخلت أنه سينصفني منامرأته أو سيقول لها أنه كان من الحق أن تبرى بوعدك ، أو أن يلاطفها بكلمة طيبة ليهدأ عنها غضبها ثم يلومني ببضع كلمات اذ أن الحق كان بجانبي ، الا أنه لم يتفوه بشيء من هذا ولكنه تقدم الي وأخذني من يدي الى النافذة والحبل معقود فيها فشدني اليها وبقيت طيلةذلك اليوم لا أستطيع السير على قدمي •

ورغم كل عملنا المتواصل في المقهى وتعبنا الشديد كان عمي لا يدفع لنا اجرا • اذ كان الاجر في عرفه أن نأكل وننام ونكتسي بالعتيق من الثياب • حتى أنه كان يأخذ منا ما يتفضل به علينا الرواد لقاء أتعاب نؤديها لهم • كان يأخذه بحجة أنه يدخره لنا ولمستقبلنا • وكان ذلك يؤلمني كثيرا فكنت أحتال أحيانا لاخفيبعض ما ينقدني أياه الرواد ، أخفيه بين طيات ثيابي ، فقد كانت جيوبي عرضة للتفتيش ، ان لم أسرع وأبتاع به شيئا يحلو لي قبل أن أجعله يدخل جيبي • وكثيرا ما كان يلاحظ عمي ذلك فكان يناديني فيفرك أذني ويصفعني صفعة تذهب بحلاوة ما اشتريت وهو يرميني بأقذع الشتائم • لص ، حرامي ، نفسك دنية •

ورغم كل ذلك كنت أحتال حيلا كثيرة لاخفاء ما آخذ من الرواد لامتع نفسي بشراء الحلوى أو ركوب الدراجة وما اليها ••

أما أخي فلم يكن يجرؤ على أن يأتي بشيء من هذا كان كل ما يناله يقدمه الى عمه على الفور ، فكان عمي كثيرا ما يقول لي عندما يؤنبني لذلك السبب لماذالاتكون مثل أخيك •• ؟

بقينا على هذا الحال عشر سنوات أو تزيد لانستطيع فيها أن نتحرر من ربقة عمي ، حتى حدث حادث غير ماكنا عليه من حياة ، فجعل قيود عمي الثقيلة تنحل عن معصمينا قليلا أنا وأخي • فقد توفي زوج أمي واصبحت أمي ايما من الزوج الثاني وهي أم لخمسة أولاد أكبرهم في التاسعة واصغرهم في الثانية وقد ترك لها زوجها قطعة ارض يسمونها بستانا لايكفي ريعه لأن يطعم هذه الافواه الخمسة وامهم •

جاءت امي تريد ان تضمنا اليها لنشارك في اعالة اخوتنا وكان جدال عنيف بينها وبين عمي •

وأخذت أمي تتحدث عما نلقاه عند عمي من ظلم وحرمان وتضييق • أخذت تقول له باننا اصبحنا شبابا وما زال يعاملنا كالاطفال • قالت له : أين ما جنوه طيلة هذه المدة التي عملوا فيها عندك ••؟ لقد مضى عليهم مايزيد على عشر سنين يعملون لديك كالخدم بل كالعبيد في ذل وقهر ثم تضن عليهم بأجر تافه طيلة هذه المدة ؟ هبهم خدما اليس للخدم أجر •• ؟

فأجابها : أين كنت طوال هذه المدة يا سيدتي ؟ ولماذا لم تأتي وتدافعي عن حقوقهم حتى الآن ••؟ أنا أربيهم واعلمهم واطعمهم واكسوهم اليس لكل ذلك ثمن ••؟

وأخيرا اتفقا على شيء • اتفقا على أن يدفع لنا أجرا يوميا مساويا لأجر امثالنا من العمال ، على أن ننفصل عنه وننضم الى أمنا التي اصبحت الآن راغبة فينا • وكنا نحن منساقين في هذا التيار لا ارادة لنا نبديها ••• فوجدنا في بيت عمنا تفضل منه علينا ، والآن أراد أن يمسك هذا الفضل عنا ، ولو خيرنا عمنا في أن نبقى لديه اوننتقل الى بيت امنا لترددنا في الانتقال رغم ما نقاسيه في بيت

عمنا من ذل وقهر وارهاق •

وقد ازدحمت رأسي بشتى الاسئلة الجريئة بالنسبة لي • ماذا تريد أمنا منا الآن ••؟ أتريد أن تضمنا اليها لأجل ان نعيلها وابناءها وهل نستطيع نحن ان نعيل هذه الانفس الخمسة وامنا معهم ••؟ اذن سنقضي حياتنا اشقياء نعمل عملا متواصلا في سبيل غيرنا دون أن ينالنا غير هذه اللقمة الخشنة المشوبة بالشقاء والعناء الا يكفي اننا عملنا في خدمة عمنا ما يزيد على عشر سنوات دون أن ينالنا منه أجر سوى الغذاء والكساء والذل والقهر ••؟ والان تريدنا أمي أن نستمر في هذه الحياة وأن نعمل في سبيل اعالة اخوتنا لأمنا ولا يفرق مدى هذه الاعالة جشعة نهمة تطلب منا بالحاح ارواء ظمئها واشباع سغبها فهل نستطيع أن نسد افواهها وأفواه اخوتنا لامنا معا ••؟

واعتملت هذه الخواطر في نفسي وافضيت بها الى أخي عدنان ، فنهرني بشيء من السذاجة قائلا : « وكان لايطيق افكاري » •

ـ ألم تسمع ما كان يتحدث به الشيخ محي الدين بالامس وهو يجلس في زاوية المقهى ؟ ألم يقل أن الله يوصي بالآباء خيرا وان رضي الله من رضى الوالدين فاكسبوا رضاهما ، وهذه مشيئة أمك فكيف تعارضها••؟

أخذ كل واحد منا ثيابه ووضعها بين طيات فراشه وحمله وسار ، فكان كل ماتملك يداه في هذا البيت محمولا على عاتقه خفيفا رقيقا •

كل ما تملكه يداي فراش رقيق واثواب أرق أما ما يملكه قلبي وتضمنه جوانحي من العواطف والمشاعر فكان جياشا عنيفا •

دخلت هذا البيت طفلا ورغم ما أحاط هذا الطفل من خشونة الحياة وفظاظة المعاملة،رغم ماأحاطه من ارهاق وحرمان وظلم ، في هذا البيت رغم كل ذلك بعض المذاق الحلو والعذوبة المشوبة بالألم •

في هذا البيت ربت الاماني والآمال والرغبات ، فيه قضى أيام الطفولة التي يدرك الطفل فيها نفسه وذاته فيخف الى اللهو واللعب يسرقهما في غفلة من عمه وامرأة عمه ، فيه نما قلبه وتفتحت مشاعره وأحاسيسه ، وان كانت بعد لاتزال غضة رطيبة •

فيه شب قرب فتاتين هما ابنتا عمه وقد اصبحتا الان في ربيع عمرها ، ذلك السن التي تتفق فيه الورود عن اكمامها تنفث عطرها العبق واريجها الزكي • كان قلبي يخفق في خوف ويهفو في وجل ويرنو في رهبة قدسية ، رهبة قدسية القربى وخوف صرامة العم الذي لا يرحم •

صحت بأخي:احمل لا حملت ثقيلا،فضحك وضحكت امرأة عمي لاول مرة ، في حين كانت ابنتاها واجمتين مندهشتين تنظران الينا من بعيد ، لم أكن ادري مافي قلبيهما ولكنني كنت اشعر ان غصة خفيفة مكبوتة تعتصر قلبي فتتصاعد حرارتها الى الحلق فتقف دونه حتى تكاد تخنقني ، وأما قلب أخي فأعتقد أنه كان فارغا •

كثيرا ما تشاجرت مع ابني عمي وكثيرا ما تراكضنا وراء بعضنا يريد كل واحد منا أن يأخذ ثأره من الآخر، وكثيرا مالعبنا وتضاحكنا في غفلة عن الاعين وكثيرا ما ضربت الكبرى او شددت شعر الصغرى لوكزة وكزتني بها او بصقة ارسلتها في جهي • فكانت تذهب الى أبيها تشكوني او كانت تهددني بالشكوى ولا تفعل ، ذكريات رغم ما فيهامن مرارةوقهر كانت مشوبة بعذوبة خفيفةعلقت بالشفاه فتلمظ بها لساني دون ان يطعمها فمي •

وصلت الباب وكان أخي عدنان يتقدمني وهو يحمل متاعه ، فالتفت الى الوراء فوجدت امرأة عمي وابنتيها شاخصات نحونا يودعننا باعينهن • تسمرت عيناي فوق عيني « دعد » وطال تحديقي ، ولم ادر كم بقيت شاخصا اليها ، ولكنني اذكر انني رأيتها تشيح بوجهها عني وانني شعرت بيد تجذبني وأخي يصيح ، ماذا دهاك ، لماذا لاتسير ••؟

كانت أختي ميسون قريبة من الباب وكانت ترنو الينا بعينين خضلهاء الدمع ، فقلت اداعبها بصوت مرتفع وكأنني أريد ان أسمع الاخرين : لاتنسي أن تزورينا •

وميسون بقيت في بيت عمها لأنها لم تدر حولها المفاوضات ولم تدخل ضمن شروط الانتقال،اذ أن عمي

تمسك بها ، وامي لم تلح في طلبها ، لأنها كانت تفيد عمي أو بالاخص امرأته فائدة كبيرة ، فهي التي تدير البيت وهي التي تقوم بجميع اعماله وشؤونه لذلك كان لاغنى لامرأة عمي عنها ، وأمي لم تلح في طلبها لانها تلقي عليها ثقلا اقتصاديا ، وهي في ذاتها عضو غير منتج ولم يكن بها اليها حاجة في الاعمال المنزلية لذلك سكتت عنها •

دخلنا منزلنا الجديد ، منزل أمي ، والقينا متاعنا في غرفة أخوتي الصغار كما كانت تسميها أمي ، ثم جلسنا نستريح قليلا • قال أخي : هنا القينا العصا ، فهززت برأسي ولم أجب ، كنت سابحا في بحر لجي من أفكاري وخواطري،أفكار انسان تولاه ألم روحي وحزن نفسي لايدري كنهه • وقد كان النهار غائما والجو مربدا قاتما زاد في ضيق نفسي وانقباضها •

وعلت اصوات اخوتي لامي في فناء الدار يلعبون ويتصايحون فخرجت اليهم ارقبهم واكلمهم الا انهم كانوا عني من لعبهم في شغل شاغل •

اقبلت أمي من المطبخ فرحبت بنا ترحيبا فاترا ثم اوصتنا الا نتأخر عن الغداء •

ومرت الايام تقفو بعضها ، ولا تسلني كيف اصبحت عند امك وبين احضانها • فلقد كنت اتصور ان سعادة الانسان في أن تكون له أم تحنو عليه وترعاه ، وقد كنت اتساءل كيف يشقي انسان وهو يعيش في كنف أمه وبين ذراعيها تغذوه بعطفها وتكلأه بحنانها •• فاذا بي أعيش عند أمي في بيتها حياة جافة لا ريح فيها ولا روح حياة كتلك الحياة التي كنت احياها في بيت عمي لم يتغير فيها شيء •

ففي بيت عمي كنت أنهض صباحا وأذهب الى المقهى وابقى أعمل فيه حتى الظهر حيث أعود أحيانا الى البيت للغداء ، ثم أخرج الى المقهى • وأحيانا كثيرة لا أرجع الى البيت منذ أن أخرج منه الا في منتصف الليل •

وكذلك كانت حياتي عند أمي •

كانت أمي ونحن صغارا تضمنا الى صدرها وتقبلنا وترعانا وتحنو علينا ، كنا نتزاحم على النوم قربها فكانت تقربنا نحن الثلاثة وتشملنا بروح منها يسكرنا فيجعلنا نام على هدهدته وترنيمه • أما اليوم فجفاف عاطفي ثقيل وان كان هناك منه شيء فلغيرنا لاولئك الذين جاءوا بعدنا •

أما معاملة عمي لنا بعد خروجنا من بيته فلا انكر انها قد تحسنت كثيرا فأصبح يتلطف بنا ويبيح لنا كثيرا مما كان يحظره علينا ، واصبح ينادينا بـ (يا ابن أخي) او (يا بني) • كما تغيرت معاملة امرأته لاختي ميسون فأصبحت تشملها بكثير من العطف وتتودد اليها بشيء من الهدايا والالطاف وتعاملها كاحدى بناتها تقريبا •

واذكر مرة انني جئت لاول مرة بعد خروجنا من بيت عمي احدث اختي بباب المنزل دون أن الجه ، فرأتني ابنة عمي الصغرى « دعد » فرحبت بي هاشة باشة مسرورة ودعتني للدخول وراحت تسألني عن حالي وتلومني على تأخري عنهم ، وكذلك فعلت أمها وأختها الكبرى • كنت اسمع ذلك وأنا مطرق حياء لا أدري بماذا اجيب • وعند خروجي الححن علي بالتردد عليهن كثيرا ، وخاصة امرأة عمي التي كانت تمزج كلماتها بعبارات عاطفية ، عبارات ملأى بالفاظ الامومة والنبوة والرعاية ، وان هذا البيت هو بيتنا وهل ينسى الانسان بيتا نشأ فيه وترعرع •

وفي الحقيقة انني كنت أرغب في التردد على بيت عمي الا انني حييا خجولا وكان الخجل والحياء يختلطان بالرهبة والخوف ، لا الخوف من عمي فحسب ، بل الخوف من شيء غامض مبهم يسربل نفسي فيجعلها تهم ولا تقدم • واخيرا قررت ان اتردد ولكن بحذر ، فصرت اذهب المرة بعد المرة في فترات متباعدة •• كنت اختلق فيها الحجج والاعذار ، وأهم هذه الحجج يدور حول أختي ميسون ورغبتي في رؤيتها والتحدث اليها ، ورغم ذلك لم ابل غلة أو أروي ظمأ •

مضى على وجودنا في بيت أمي سبع سنين كانت خلالها العلاقات تتوطد بيننا نحن وأمي من جهة وبين عمي وامرأته من جهة أخرى • وصارت امرأة عمي تكثر

من زيارتها لأمي وتزداد توددا الينا جميعا ، حتى كادت تمحو من ذاكرتي جميع ما علق بها من ذكريات اعمالها السيئة نحونا ونحوي أنا بصورة خاصة • وفي نفس الوقت كانت احوال عمي الصحية في تأخر مستمر رغم راحته وقلة عمله ، كانت تصيبه نوبات قلبية حادة فيغشى عليه ويبقى طريح فراشة اثرها أياما عدة • حتى كان يوم أصيب فيه بنوبة شديدةلم يصحمنها ، فمات ••مات عمي•

مات عمي الذي نشأنا في حجره والذي عشنا عنده حياة فيها الكثير من الحرمان والقهر والضنك والخشونة، فيها كثير من الارهاق لاطفال لا يستطيعون أن يتحملوا السهر والعمل الا بمقدار • مات عمي الذي كان قلبه كالحجر الصلد في معاملتنا ونحن في كنفه صغارا ، ثم أخذ يتطلف بنا ويتودد الينا بعد ان انفصلنا عنه كبارا • ولعل لعمي نظرته في ذلك فهو كما كان يقول يريد ان يجعل منا رجالا •

اصبح المقهى بيدنا نعمل فيه ونجني ارباحه واصبح لنا فيه وفي رزق عمنا نصيب • وفجأة غدونا مالكين بعد ان كنا مملقين معدمين • وصرنا نحن نقدم لامرأة عمنا وبنتيها مايحتجنه من غذاء وكساء ونفقات • أي اصبحنا ننفق على بيت عمي بعد ان كان عمي ينفق علينا ، وقد أخذنا نسخو في الانفاق ولا نضن او نمسك عنهن شيئا حتى ولو اضطررنا لان نضيق على انفسنا ، فقد شعرنا بلذة التملك ولذة الانفاق وخاصة اذا كان على غيرنا ، ويظهر أن ذلك كان يشبع هوى في نفسنا • اليس في الانفاق على غيرنا شيء من التفضيل عليه ؟ اليس فيه تسام وتعال وظهور بالنسبة الينا بعد انكماش وضمور ،بل أليس فيه لذة رد الجميل والفضل بمثله ؟ لذلك زدنا بالانفاق على بيت عمنا ماسمح لنا دخلنا • والحق يقال ان المقهى قد ازدادت ارباحه وكثر دخله اضعاف ما كان عليه أيام عمي ، وكانت امرأة عمي لاتضيق عليناالحساب تأخذ ما نعطيها دون سؤال ، تبارك لنا عملنا وتثني على جهدنا •

ولعبت كفاي بالمال بعد ان كانت تشتاق رؤيته عيناي ، زد على ذلك ان أخوين من أخوتي لأمي اصبحا يعملان واصبحت ذوي دخل يشتركان معنا في الانفاق على بيتنا فخفت الاعباء عن كاهلنا أنا وأخي وامتلأت جيوبنا بالمال ونحن مازلنا في ربيع العمر ، هذا الربيع الذي تكثر فيه القطوف ناضجة دانية تدعو صاحبها للجني العذب •كنت في ريعان الشباب وللشباب رغبات ونزوات ، فتلفت ابحث عنها وكأنني كنت في غاشية من أمري ثم انتبهت وأنا في جوع شديد فأخذت ارسل يدي تعبث بأغصان الجنات الكثيرة الدانية الثمار التهم منها ما أريد وامج منها ما أريد •

وأما أخي فقد بقيت له حياته الرتيبة،لم تطرف له عين الى لذة غير مشروعة ولم تبطره النعمة • كان يستمع الى الشيخ محي الدين كلما جاء وأخذ مكانه في زاوية المقهى كان يرحب به كثيرا ويحترمه كثيرا ويعمل بأقواله ونصائحه ويطلب منه دائما ان يدعو لي لاعود عن غيي فيجيبه الشيخ « ربنا يلهمه الصلاح » •

جاءني أخي يوما ناصحا رادعا بكلام قاس مر ، افهمني حقيقة نفسي ، ردني الى ماضي القريب وما ذقنا فيه من حرمان وضيق وخشونة ، حدثني عن الحياة وتقلبها ومصائبها ونكباتها وكأنه شيخ مجرب خبر الحياة وذاق حلوها ومرها ، كان حكيما والحكمة تسيل من لسانه عبارات رقراقةعذبةفأصابت مني مقتلا،حكمةلمأعهدها فيه ولم أدر من أين تعلمها ، فقد كان ساذجا ذا قلب طيب حتى ليظنه من يحدثه انه مازال طفلا غريرا وفجأة بعد أن القى عظاته علي طرح سؤالا بلهجةاستغراب واستنكار لماذا لا تتزوج ••؟

لم أكن قد طرحت هذا السؤال على نفسي رغم أن قلبي كانت تعتصره ذكريات خفيفة لطيفة لابنة عمي الصغرى « دعد » • ذكريات كنت احفظها في محراب القلب ليوم قريب او بعيد ولكنه آت لا ريب فيه عندي ذكريات كنت اسرع في كبتها وجعلها تغوص الى الاعماق كلما حاولت ان تظهر او تطفو ، وكنت لا أترك مجالا لخيالي بل لا أبيح له ان يطأ حرمها المقدس • فجاء هذا

طرفي بطرف النجم

شعر حنا الطيار

ذكراك ريحاني وطيفك راحي
هيهات تنسيني السنون صباحي

اطلت من قبل الشموس وضاءة
وخطرت بين مباسم وأضاحي

اطلقت جفني من عقال سباته
تصحو الجفون على تبلج ضاحي

أنا من جديد قد نشأت لمن ترى
الا العزائم في جديد وشاحي

طرفي بطرف النجم الا أنه
كالنجم في اشراقه اللماح

يا وحدة قد بويعت بمحاجر
قبل اليدين وقبل شد الراح

جعلت من القطرين قطرا واحدا
شدت جناحهما بغير براح

ومن القلوب وجيف قلب واحد
لم يوجه غير العروبة واح

است الجراح وليس غيرك آسيا
باسما الوى بكل جراح

حنا الطيار

السؤال فأثار في الدهشة والتساؤل في آن واحد ، فأجبته، اتزوج ..؟ أنا ..؟ ولماذا لاتبدأ أنت أولا ..؟

فقال : أتزوج أنا وأنت سوية اذا شئت . فضحكت ساخرا وقلت ومن ..؟ قال : ابنتي عمنا .. أنا اتزوج الكبرى وأنت تتزوج الصغرى .

ابنتي عمنا .. ؟ - نعم ومن أجدر بهما منا ، وخاصة نحن لهما شريكان في المقهى وفي الرزق وانهما ابنتا عمنا ونحن احق بهمامن غيرنا،فنكون بذلك قد رمينا عصفورين بحجر واحد كما يقولون .

فقلت في نفسي ليس أحب الي من أن أرمي ذلك العصفور بحبة قلبي . والتفت الى أمي وكانت تسمع حديثنا دون ان تشاركنا فيه او تبدي رأيا ، سألها رأيها فقالت : هذا ما يجب ان يكون ، وأنا كنت قد فكرت في هذا الامر ، وكنت أريد أن أبديه لكما انتما الاثنين معا ، وقد سبقني أخوك اليه فنعم ما فعل .

- وهل توافق امرأة عمي . - ولم لا ..؟ وهل تستطيع أن تحظى بخير منكما ؟ بل هي تتمنى ذلك واعتقد انها اخذت تفكر وتعمل لهذا الامر منذ زمن طويل وخاصة بعد وفاة زوجها ، وعلى كل حال سأستطلع رأيها غدا باذن الله .

وفي ظهر اليوم الثاني ونحن على الغداء كانت تندعن فم أمي ابتسامات خفيفة وعن عينيها نظرات لطيفة ذات معنى . فامسكت عن سؤالها وتركت لها الفرحة بأن تزف لنا البشرى بنفسها ، وكأنها ادركت مافي نفسي فابتدرتنا قائلة : بشراكما .. فتطلعنا اليها مبتسمين وقلنا : هاتي.. قالت : انها تعتبر ذلك سعادة لها ولابنتيها ..

- سعادة لها ولابنتيها ..؟ وهنأنا بعضنا .

وكان ان عدنا الى بيتنا الاول سادة كبارا قادرين بعد أن كنا فيه صغارا مستضعفين .

كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا لأول منزل

حسن حمام

مرحبا يا صباح :

القيت في المهرجان الضخم الذي اقيم
بمدينة بانياس بمناسبة عيد الوحدة

شعر احمد علي حسن

منعت امتي ، وعزت بلادي   فارجعي دون شأوها ياعوادي
أمتي ، أمة الفتوح ، وشعبي   لكفاح وثورة وجهاد
عيـدها اليوم ، وهو اغرودة الزهو ، وانشـودة على فم شاد
عيدها اليوم ، طلة النصر في الميدان والفتح ، زينة الاعيـاد
عيدها والربيع ضوان ، فاسـتوح لديه بشـائر الاسـعاد
وتطلـع به الى غدك المشـرق مابين وحدة واتحاد
وحـدة شاءها على كرم العنصر ماضي الابوة والامجاد
جمعت في وشائج الدم والتاريخ شـعب الفتوح شعب الضـاد
لم يعـد للمفرقـين مكان   في ربانا ، ولا مجال لعـاد
وتأمل ، **فما هنالك الا**   جيش موسى وطارق بن زياد
يزحم البحر كالجبال ، ويطوي   في سـراه شوامـخ الاطواد
حيثمـا كنت ، او تلفت لاتسمـع ، الا زماجر الاسـاد
من كشعبي ؟ اذا اصر على الحسق ، شديد القوى شديد العناد
من كشعبي ؟ وقد تدافع كالسيل ، ليومي كريهـة وجـلاد
من كشعبي ؟ اذا أصر على الحق ، شديد القوى شديد العنـاد
حطم القيد ثائرا ، فهو مالان   لاسـر ، ولا الي اقيـاد
عربي به قـد اتقـد العزم   بيوم النضـال أي اتقـاد
عربي له اعـدت مـع الهول   سروج المطهمـات الجيـاد
ثائر ، كل همـه أن يضحي   باذل ، كل قصده أن يفادي
خله يزحم الخطوب ويمشي   بفخار وقوة واعتـداد
آمن الغاصب المسـيطر أنا   لا نبالي بقوة وعتـاد
سله عنا ببور سعيد ، وسـله   عند سينا ، وعند أرض المعاد

سله عنـا ، وعاديات الليالي　　في ربانا روائح وغواد
كيف يؤنا بمسترد من الحق ، وماضي من العلا مستعاد
ضل مستعمر الشعوب، وضلت　　في مساعيه آيـة الارشـاد
نحن يا هذه الخطوب، شداد　　ان سخرنا، فبالخطوب الشداد
حدثي الناس عن مفاخر قوم　　ما لآثار مجـدهم من نفـاد
عصفوا بالغزاة ، واندحرت دون قواهم ارادة المرتـاد

* * *

من كقومي شمائلا، كجبين النجم　　زهوا ، وكالسـنا الوقاد ؟
من كقومي ما ثراء، كصفاء النور　　في المجتلى ، وبيض أيادي ؟
ان قومي هم الاولى نسـلتهم　　مـن نزار شـمائل وأيـاد
انمـا ذلك العراق عراقي　　ان بغـداد ويحهم بغـداد
ما لجلادها يعود ، وبالثورة جزت حبـائل الجلاد
وفلسطين ، هـذه لبني أمي　　وفي تربها ثوى أجدادي
بلغوها مع الشـدائد ، انا　　لابن (غوريون) نحن بالمرصاد

* * *

مرحبا يا صباح ، للاسمر الريان غنى مع الصباح الحادي
مرحبا يا صباح ، ما أجمل النور مشقا بأمتي وبلادي
نحن والنصر والعروبة مهما　　طاول المعتـدي ، على ميعاد
قل لديغول : طال غيك في و (هران) ياشؤم يومك المسـتقاد
هذه ، هذه ، جزائر قومي　　وروابي هـذه ووهادي
لا أرى منجل العـدالة الا　　سوف ينقض فوق راس الفساد
وسيغدو على البرية عيـدي　　آية الزهو زينـة الاعيـاد

بانياس ــ أحمد علي حسن

قلب ...

شعر نجم الدين الصالح

هدهـدته .. حتى تلملم — في ظـلالك .. كالقطيع
وتركته لليل .. يسلمه — الهزيـع .. الى الهزيع
حتى اذا مر الصبـاح — به .. وآذن بالطـلوع
وتناثر الوهـج المشـع — .. على ذيولك كالربيـع
ناجاك .. والازهـار — كالأوتار تجهش بالدموع

فتدفقي كالشعلة العـذراء ... في غسقي المريـع
والأفق خلف تلفت النهدين ... يمعن بالخشـوع

قلب يحن له الهجوع ... ولا يحن الى الهجوع
ويذوب كالآه الحبيس — وراء نافـذة الضلوع
ودعي لظى شفتيك يختزل الصباح عـلى ضريعي
آمنت في بسماتك البيضـاء ... ترفل بالتجيـع

آمنت باليأس المدل هوى .. وبالأمـل الصريـع
آمنت في عصيان حبك لي .. وفي شوقي المطيـع
وغدا سأقرأ حبك الملتاع ... في كنف الجزوع

لم تستطيعي قتل هـذا الحب لا لم تستطيعي
وصباك هـذا الغض ذواب المفاتـن كالشـموع
سأعود بعد غد ... عـلى نغم الالوهات البديـع

سأعود أقرأ في خريفك غير تحنان الربيـع
سأعود ياسـلمى ، وكل هوى يحن الى الرجوع

نجم الدين الصالح ـ صافيتا

ـ انا من العراق ـ

الى رفاق المحنة ...

الصامدين في وجه الاعصار

شعر صلاح قادر

أروي بأحرف من نار
ملاحم الشنار
ملاحماً تتلى بعهد آثم العراق
ليسمع الخليج
ومن يقيم في « تطوان »
فيا عرب ...
ياأيها الشعب العصامي العظيم
كفرت بالمثل
وكاد أن يلفني الجنون
أروي عن العراق
وعن مهازل العراق
وعن مجازر العراق
وعن محاكم التفتيش بالعراق
وعن مدافن الاحياء في .. كركوك
وعن مشانق الاحرار في بغداد
أروي بأحرف من نار
كركوك .. ياكركوك
يامقبرة
مبعثرة
هناك في القفار
أأزهر النوار .. ؟
على مدافن الاحياء ياكركوك
أأزهر النسرين ياأبي .. ؟
... يامن دفنت حي
جاءوا اليك في المساء
جاءوا الى الحانوت
وقادهم اليك « ظافر » الصديق
وقال لك ... أتشتم السلام
صديقي الذي أطعمته الزيتون
صديقي الذي استدان ...
طعامه من الحانوت ..
لانه منبوذ ...
.. من قريته .. من والده .. من أهله ..
وكم أحضرته لغرفتي ..
.. والجوع كافر عنيد
وكم .. وكم .. ! أياحياة أليس في البشر ضمير .. ؟
أبي وجاءك الصديق « ظافر »
في ذلـك المساء
من ذلك اليوم الذي عوى به الذئاب
كانوا عطاشـاً للدماء
فصوبوا الحـراب
ومزقوا البطون
وجرجروا الرقاب في الدروب
فكانت العروق تنزف
وكانت الرقاب تقطف
وكانت الجلود تسلخ
نعم .. وسيق والدي بجانب المئات
واحرق الحـانوت
وسبق تاركاً وراءه .. أولاده وزوجته
أأزهر النسرين ياأبي على مدافن الاحياء في كركوك..؟
هربت ياسماء
من الجحيم .. جحيم قاسم العراق
هربت تاركاً أختي .. وأخوتي الصغار
تركتهم الى الظـلام
لأنني أريـد أن ..
.. أعيش ثورة الحيـاة

نزيل السلمية .. المشرد
صلاح قادر

أكثر من الحقيقة

بقلم : عدنان الداعوق

تهدى للفنان المصري المبدع «جمال قطب» ذكرى ليلة قاهرية جميلة روى لي فيها هذه القصة .. ليس بالكلام بل بالصور والالوان .

لم يكن أحد يعرف اسمها الحقيقي غيري في المدينة الكبيرة كلها ..

أنا « عزت فهمي » التقيت بنجوى – كما كانت تعرف في الاوساط الفنية – لاول مرة في ملهى ليلي صغير بالقاهرة ..

ملهى متواضع لم يكن عدد رواده يزيد عن العشرين ليلتها ..

وقليلا ما كنت اتردد على مثل هذه الملاهي الصغيرة.. ولكن في تلك الليلة بالذات وجدت نفسي أمام الملهى دون أن اشعر .. ووجدت انني بحاجة الى الشراب كذلك .. وتناهى الى سمعي صخب ، وموسيقى شبه صامتة .. ورأيت راقصة كئيبة ترقص على هذه الانغام الميتة في ألم حزين .. تجرعت أول كأس .. وفكرت بأمور غامضة كثيرة ، منها كيف مات صديقي العزيز « أنور » اليوم ... وتدخلت صورة الراقصة الباهتة في خواطري دون ان اشعر .. افكر بها قبل ان أعرف اسمها على الاقل .

وتكرر مجيئي للملهى كل ليلة .. وتكررت افكاري كذلك تبحث في غموض عن اسرار الدنيا ومن بينها سر هذه الراقصة التي عرفت اسمها فيما بعد .. «نجوى»

وأصبحت أراها كل ليلة قطعة من الملهى المهمل المنسي وكأنها شبح هزيل يقوم بفعل ليس غير حركات آلية مجردة من كل فن وحس ونغم ..

وتقوت بيني وبين نجوى أواصر الصداقة مع الايام.. وغدوت اسهر معها كل ليلة حتى عرفت عنها اشياء كثيرة عن ماضيها المؤلم الذي كانت تحدثني عنه ..

وكانت تجد في حديثها معي راحة كثيرة وسعادة غامرة .

نزلت القاهرة لأول مرة .. فبهرتها الاضواء الصاخبة والحركة الهائلة .. ولم تكن تعرف من المدينة الكبيرة سوى اسمها .. أو ما كانت تتناقله الالسن في القرية الصغيرة التي نزحت منها . وجرت في الشوارع الواسعة المزدحمة على غير هدى .. خائفة ترتعد وترتجف من هذه الخلائق الكثيرة المتزاحمة ..

لم يكن معها مال ولا متاع .. ولم تكن تلبس غير ثوب خاطته منذ أيام في القرية استعدادا لفرح اختها ..

ولم تحضر الفرح ، بل هربت تلك الليلة بعد أن اغواها ابن خالتها « علي » وغرر بها تنكر لفعلته .

وشعرت بالجوع .. والبرد .. والوحدة ..

ولم تكن تعرف أحدا لتلجأ اليه .. وصادفتها فتاة لم يرتح لها قلبها ، وعرضت عليها ان تذهب معها لبيتها..

ورغم ان نجوى لم تطمئن الى هذه الفتاة .. الا انها كانت مضطرة ان تقبل منها او من غيرها ايضا أي شيء.

وشعرت بالراحة في بيت « عفاف » يوما بعد يوم .. وفهمت أشياء كثيرة من خفايا المجتمع المنحل .. عرفت ان « عفاف » تعمل – ارتيست – في كباريه رخيص .. وان اجرها الذي تتقاضاه كل ليلة لا يكفيها .. لذلك كانت تضطر لأن تقوم بأعمال أخرى ظلت غامضة على نجوى ، حتى عرفت أخيرا صلتها برجل قصير دميم يأتيها كل صباح ويهمس اليها بكلمات ، ويسلمها بضع اوراق

مالية ويذهب .

واعتملت الثورة يوما بعد يوم في نفس نجوى .. وقررت ان ترحل من بيت عفاف ، وتتخلص من بؤرة الفساد التي تعيش فيها .

الا أن الصديقة وجدت في نجوى ربحا طيبا .. فلم تكن تفارقها أبدا ، وحصلت لها على عمل عند مدام « جوهر » صاحبة ملهى الانس والطرب ، وأوصتها بها خيرا .

ولكن نجوى ظلت محافظة على سلوكها .. وبقيت عفيفة نظيفة ، وبنت قوقعة حول نفسها واقفلتها في اغلاق واحكام .

وتركت بيت عفاف .. وسكنت لوحدها في غرفةفقيرة في حي بعيد ...

ونسيت الماضي تماما .. نسيت القرية الصغيرةالهادئة .. ونسيت والدها المسن .. ونسيت أختها التي تبكي ليل نهار بعد أن هجرها فتاها وبعد ان علمت القرية بهرب نجوى في ليلة حالكة السواد . نسيت كل هذا وغدت آلة صماء تعمل في ذل كسير في ملهى الانس والطرب .. وتأتمر بأوامر مدام جوهر .. وتعود الى غرفتها كل ليلة قبيل الفجر في حالة اعياء وتعب شديد ..

واصيبت في ليلة من ليالي الشتاء الباردة بنزلة صدرية حادة لازمت فيها الفراش ثلاثة أيام .. جاء بعدها«عزوز» خادم الملهى يخبرها بأن مدام جوهر قد طردتها لانها تغيبت عن العمل .. لم يكن في استطاعتها ان ترقص .. أو أن تتحرك .. أو أن تتكلم .

ووجدت نفسها في الشارع مرة أخرى .. بلا مال ، ولا عمل .

ومشت في شارع عماد الدين .. وتلاطمت بهياكل الآدميين التي تمشي في تسابق هائل .. ووجدت بين الناس رجلا قصير القامة دميم الوجه .. وكان قريب الشبه من صديق عفاف الذي كان يحدد لها زيارات الليل ويدفع لها المال .

ونظر اليها الدميم القصير بنهم ... ولاحقهابنظراته..

ولم تستطع ان تقاوم المرض والجوع والفقر ..

ومشت خلفه قليلا ، واندست معه في سيارة سوداء كانت تقف عند ناصية الشارع .

وفجأة وجدت نفسها في فيلا رائعة بشارع الهرم ..

كانت اول مرة تقابل فيها رجلا في بيته .. لم يكن ذئبا كما كانت تتصور في خيالها المكدود .. او هكذا على الاقل خيل اليها ..

وشعرت بالاطمئنان لديه وارتاحت له .. وباتت تلك الليلة في الفيلا الانيقة .. وعندما كانت تغادرها في الصباح ترك صاحب البيت في يدها عشرة جنيهات .. واوصاها ان تكرر زياراتها له دوما ، فهو وبيته في خدمتها .

ولم تستطع النوم ليلتها .. فتفجرت في اعماقهابراكين ثائرة .. وقذفت بجسمها ملهبة محرقة ..

لقد هربت في الماضي من العار .. من وصمة ألحقها بها « علي » .. وقررت ان تعيش بعيدة عن الماضيوعما يمت له بصلة .. فهل ستعود من جديد ، وترمي نفسها بيدها في أتون الرذيلة والعار .؟ لم يكن أصعب عليها من المسير في هذه الطريق ..

حتى العشرة جنيهات التي أخذتها من ذلك السمين صاحب فيلا الهرم ، لم تقربها .. واعتبرتها ذلا وعارا ستجرها للوحل مرة اخرى .. فرمتها في قعر خزانتها ولم تجرؤ ان تنظر اليها .

لم تكن تجيد شيئا في الحياة غير ما تعلمته من الرقص سواء من صديقتها الاولى عفاف .. أو من ملهى مدام جوهر .

لذلك بحثت من جديد عن عمل في مرقص آخر ..

وهاهي ذى اليوم أخيرا ، وبعد آلام طويلة متصلة ، تعمل راقصة في ملهى « نور العيون » وتكسب رزقا حلالا تعيش به وتحافظ على نفسها من شرور الناس وغواياتهم .

وتألمت كثيرا لقصة نجوى وحاولت ان اساعدها بكل ما استطيع ..

حدثت الكثير من اصحابي الذين يعملون في المجلات

الفنية وفي الحقل السينمائي عن وجه جديد اكتشفته صدفة ..

وتعرف اصحابي على نجوى .. واجروا معها عدة مقابلات صحفية ، كنت قد لقنتها اصولها من قبلي حتى لا تقع في خطأ يفشل غايتنا وهدفنا من الوصول الى نهاية الطريق .. الى المجد الفني .. ونشرت صورهابالصحف والمجلات .. وتحدثت عنها الاوساط ، واطلقت عليها لقب « نجمة الموسم » ولاول مرة لمعت على وجه نجوى بسمة الفرحة وعبارات الشكر .. ودمعت عينها عندما قالت لي :

ـ أنت أول انسان اصادفه في الحياة .. يقدم لي كل شيء بشرف وصدق واخلاص.. بدون مقابل . وبالفعل لم أكن اطلب من نجوى سوى ان تحدثني عن حياتها.. وقد فعلت ، لأنني مغرم بحكايات الناس .. وبقصص الليل التي يعيش ابطالها بعيدين عن الناس ، وعن الحياة، وعن المثل ، وعن الغد المشرق الباسم ..

هذا عملي ، كتابة قصص الناس وحكاياتهم ..

وقد ظفرت من نجوى بقصة عشتها بكل احساسي ومشاعري .. وظفرت هي كذلك بالحياة التي حلمت بها .. الحياة الشريفة البعيدة تمام البعد عن ذئاب الحياة.

وانهالت على نجوى العقود المغرية في اكبر الملاهي بالقاهرة .. وابتدأت تسير في طريق النجاح وتصعد درجات السلم بسرعة عجيبة ..

وتقدمت منهاأخيرا احدىالشركات السينمائيةوعرضت عليها القيام بدور في أحد افلامها .. وتفننت الشركة بالدعاية لنجوى .. فغدت صورتها في كل مكان .. في المجلات ، والصحف ، والشوارع .. وكان ميلاد نجمة جديدة في دنيا الفن .

وتشاء الظروف ان ينزل « علي » ابن خالة نجوى الى القاهرة ليشتري بضاعة ويعود بها الى القرية حينما يلمح صورة نجوى في اكثر من مكان .. وكذب نفسه اكثر من مرة ، ولكنه تحقق منها بالاحساس الغريب الذي أحس به من دون أن يعرف كنهه .. انها هي .. ابنة خالته التي هربت من القرية منذ سنوات قليلة .

وكاد يصعق للامر ، الا انه تذكر فجأة حبه القديم لها .. وتذكر كذلك العار الذي الحقته بالعائلة ..

ولم يعد للقرية .. بل أخذ يلاحق اخبارها ، ويتعقب تنقلاتها من مكان لمكان ..

وكان يسعد بها حينما يراهامن بعيد .. فتأخذه النشوة ويحرك مشاعره الهوى القديم الذي ما زال يسكن قلبه.

وأخيرا قرر ان يتصل بها ..

ولاقى صعوبة كبيرة في الوصول الى فيلتها الانيقة بالزمالك .. وصعوبة اكبر في مقابلتها ..

وتقابلا في النهاية بعد مشقة قصوى ..

ولكنها لم تتعرف عليه بادىء الامر .. الا انه ايقظ في نفسها بعد ذلك الماضي الدفين .. ويا ليته لم يكشف لها عن الماضي الذي مازالت تحمل آلامه في صدرها المقروح ..

الماضي الاسود . .الذئب الشرس .. « علي » الذي كان السبب في خروجها من القرية تلك الليلة المظلمة التي لن تبرح مخيلتها ابدا ..

وتوسل اليها علي .. وحنى رأسه ذلا لها ، وتذلل لكي ترضى بالعودة والزواج منه ..

ولكنها اقصته ، وطردته من منزلها شر طرده .. ولم تنفع جميع توسلاته في محو ذل العيش الذي حملها اياه هو نفسه .

ولكن الحب المجنون حرك فينفس علي مختلف صور الانتقام والثأر لشرف العائلة .. وتصور نفسه وهويعود الى القرية بلباس البطل المغوار .

وفي ليلة العرض لفيلم نجوى كان ابن خالتها علي يتربص لها لينفذ رغبة خسيسة في نفسه ..

وحينما تقدمت ، في نهاية العرض ، لتحيي الجمهور الذي قابلها بفرحة ونشوة .. كان هو اسرع منها في التحية .. حيث ترك في صدرهاعدة فتحات منسكينه.

البقية على الصفحة « ٣٨ »

الطريق الضيق

من افــق لافــق

تبـدع سـراً ؟ ! •• تجتلي   خفـاء سـر مغلـق ؟ ! ••
تـزرع فجـرا راعشـاً   براعماً مـن زنبـق ؟ ! ••
أم من كروم المشـرق
مـن السناء الأزرق
تقطف حلمـاً حبقـاً   الى ربيـع حبـق ؟ ! ••
نامت على زند القمر
مـن أفـق لأفـق
من زورق لزورق
مـن سحر الى سحر ••
قـد سـرقوا الغيمـة ثـدي البرعم الممزق
وأطعمـوا الغابـة أشـلاء عبـير عبق
فيالهيب الشفق
ويا حنان الفسق
أمـا تـرى في حضنهـا   طفـلا بعيد الحدق ؟ ••
يأكـل مـا أبقى السمر
مـن الحـديث المهرق
عـلى حـوافي الطبـق
ومن صدى ليل غبر ••
ويـده في شعرها   كاسـوسـن المستغـرق
تبحث •• تشكو •• ترتمي   مـن قلـق في قلـق
فما تـرى مـن رمق
عبـر النسيـم الطلـق
غـير شـعاع فـارغ   يـكبو وراء الأفــق
سـاقته أحـلام الثمر
عبر الطـريق الضيق
للـزيـزفون المـورق
وألـف قلب مـن حجر

محمد جنيدي

الى كاذبـــــــــــــة

بقلم : كمال فوزي الشرابي

تـــكذبين ،
أنت دوماً تــكذبين ،
كــل يوم •• كــل ساعة ،
في دهــاء وبراعة •
تــكذبين ،
دون أن يرتف هدب واحــد في مقلتيك ،
دون أن يبدو عليك ،
أي خوف أو شحوب ••
دونمــا أي ارتباك ••
وجــه شيطان مريد
لك •• أم وجه ملاك ••؟
أم ، ترى ، أعصابك قدت من حديد •• ؟

* * *

تـــكذبين •
آه ما أقواك في رصف الــكلام ،
في تزاويق الكلام ،
كيفما تبغين ، في كل مقام •• !•
آه من هذا اللسان ،
كلسان الحية الرقطاء يسعى ويلوب
ناعما •• أنعم من همس الطيوب ••
ساكبا في اللفظ خمراً وحنان •• !

* * *

تـــكذبين •
وأنا أصغي اليك ،
يحتويني منك نار ود خان
وضباب فيه تلتف يدان
حول عنقي ••
وبحلقي •••
غصص سود •• وشوك •• وأنين •
رغم هذا ، رغم كل اليأس في قلبي الحزين ،
فأنا أصغي اليك ،
باحثا في مقلتيك ،
عن دليل •• عن حقيقة ،
عــن نوايــاك العميقة ،
ضائعا ما بين شك ويقين ••
علني أعرف ، ياكاذبة ، السر الدفين
علني أعرف ماذا تكتمين
آه ممــا تكتمين •• ! •• !

* * *

لا تخافي
أنني صدقت ما تريدين من نسج الخيال ،
فالليالي
علمتني كيف أحيا في سراديق الظنون ••
علمتني كيف لا أرتاح للحسن •• لألوان العيون ،
علمتني أن أكون
حذرا من قصص الاخلاص والحب الحنون ،
من اساطير الوفاء ،
منك •• يا مغرمة روحي بأمطار الرياء ••!

* * *

تـكذبين .
وعلى ثغرك ينهد ابتسام
مثل ضوء القمر الباهت ، ما بين الغمام ،
عبثا مسعاك يلمس قلبي ،
أو يريق الماء والدفء على أزهار حبي ،
صوحت أزهار حبي
وانتهى .. انتهى (مشوارنا) المتعب في تيه الظلام .. !

* * *

فاتركيني .. اتركيني ..
كان دوما بيننا ألف قناع ،
وهواك ، كان العوبة وهم وخداع .
قـد كفاك ،
وكفاني ما لقيت
منك .. من كذباتك الصفر اللواتي ..
قد نفثاه السم في كأس حياتي ..
كم شقيت
وانا أحمل آلامي بصبر وأناة ،
رغم اني لم أكن ، يوما ، غبياً أو جبانا
في هوانا ..
طفح الليل .. فسيري واتركيني ..
أبعدي عني يديك ،
وشذا الاغراء والسحر بنجوي شفتيك ..
اتركيني ..
انني أخشى على حسنك من دنيا ظنوني ..
من أعاصير جنوني ..
من براكين شجوني ..
فلقد عشت على نعماه ساعات جميلة
لست أنساها .. وان كانت قليلة ..
وارحلي .. ارحلي ياشهبي ،
عن حماها ،
نحو أفق لم يجل يوما ببال السحب ..
وانطفيء .. انطفيء ياغضبي ..
فهواها .. منذ أن كان هواها ..
كذب في كذب .

كمال فوزي الشرابي

اكثر من الحقيقه

(بقية)

واندفع كالمجنون يعدو بلا وعي .. ولم ينتبه لسيارة كانت تقطع الشارع .. واستقر تحت عجلاتها بلا حراك.

وقبل ان ينتبه اليه أحدكانت نجوى قد فارقت الحياة .

واشارت الصحف في اليوم التالي الى الخبر بأسـف شديد .. ونعت الاوساط الفنية النجمة الموهوبة «نجوى» بحزن كثير .

وكل ما اشير الي القصة بأن احد الفلاحين القســاة اقتحم على الفنانة منزلها بوحشية .. فطردته ، ولكنـه أحب ان ينتقم لكرامته فقتلها .

ولليوم لم يعرف احد العلاقة بين نجوى وعلي ...

وكذلك لم يعرف احد اسم نجوى الحقيقي والذي كانت تعرف به في يوم من الايام في القرية ب ... «نفيسة».

عدنان الداعون

بائع الليمون

كان دائب الحركة ، امله الوحيد أن يبيع كل ما لديه من الليمون ، بحـذق ، ومهارة يعرفها عقلـه الصغير ، وعيناه العسليتان ..

كان يهرول قليلا نحو الزبون وقد يسير بجانبه عدة خطوات تساعده بذلك قدمان طويلتان معروقتان تبدوان وكأنهما تعرفان كل شيء الا الحذاء والكلل ! .

لم يتخط الحادية عشر من عمره بكثير ، ومع ذلك فلقد كان سيد الناصية التي تجمع سوق التوفيقية فـي القاهرة بشارع رمسيس .

وكعادته ، سار بضـع خطوات ونادى بأعلى صوته : (بلدي ياليمون .. أحسن ليمون في مصر ..) كـان لا زال في غمرة المناداة عندما شاهد عن بعد أحـد المارة يتطلع من بعيد صوب بائع متجول فصرخ عقله الصغير مستثيرا الهم : طر اليه .

واستجابت القدمان القذرتان فقطع الطريق على الزبون الجديد ، وبلمح البصر كان قد انتزع من جيبه ليمونة صفراء كالشمع تمتاز بـكبر حجمها نوعا .. ثم أخـذ يقلبها بين أصابعه وهو يقول :

ـ أحسن ليمون ياسيدي !

فتوقف الرجل وقد جذبته الليمونة ليستطلع بضاعته وبنظرة واحدة من عيني « عطية » أدرك أن زبونه لا زال مترددا فانبرى يطلعه على القسم الجيد ـ وكان قد وضعه في أسفل السلة ، وتحت القسم الاول فاصلابينهما بطبقة رقيقة من العشب ـ

فانصاع شيطان التردد نوعا أنه لا زال بحاجة لدافع مسيطر يدفعه للشراء ..

فالبيت على ما يظهر بعيد .. وانه من الاشخاص الذين يتأففون ، رغم الحاجة الملحة،من حمل بعض،الحاجيات،

قصة بقلم : نديم احمد طابوشة

من يدري ؟ ربما أعتقد أن كل ما لدى عطية من ليمون كتلك التي في يـده .. فوقف يستطلـع بتردد وشك ظاهرين ..

ألم عطية ، بسرعة خاطفة ، كـل هذه الامور ، فعز عليه أن يفلت من بين يديه مشتر مهما كان هذا المشتري لانه يعني أن بائعا آخر سيحل محله .. وبـدون تردد رمى ليمونته الجميلة ، كآخر سهم للاغراء،بين اخواتها الصغيرات وقال : أسعاري لا تزاحم .. ستة بقرشين .. فبدا للزبون تحت تأثير الليمونة الصفراء ، أن العرض معقول ومد يده اليهاأولا فبادره عطية بأنقدم اليه خمس ليمونات أخرى من السلة فتناولهاالرجل راضيا بينما قبضت تلك الراحـة الصغيرة الرطبة على القرشين ثـم اندفـع صاحبها من جديد الى مكانه الاول وصاح : ليمون بلدي .. عندي أحسن ليمون ..

وراحت عيناه العسليتان الصغيرتان تبحثان عن زبون جديد ، وكان قد انتشى ، فأخذ يحدث نفسه (لا رزق لكم ، الا اذا نفدت بضاعتي ..)

بسرعة مقلقه الا أنه عاد فطمأن نفسه بان بضاعته ستنفذ

ثم تطلع الى الشمس فوجدها وقد انحدرت نحوالمغيب مع المغيب باذن الله ..

ثم عاد يحدث نفسه : (البائع الحاذق لا ينتظرالزبون حتى يصل اليه .. ومن ينتظر لا يحظى بمشترى) ثم نادى باعلى صوته (أحسن ليمون عندي أنا ..)

(ان هؤلاء البائعين ربما يجيدون أي نوع من العمـل ، أما بيع الليمون فلا)

وعـاد يصرخ : أحسن ليمون .. بلدي ياليمون ..

(من يستطيع أن يتعرف على من يود الشراء فعلا من بعيد •• ثم يتقدم منه سابرا قدرته الشرائية ، وبعدها ليقدم له الاسعار والانواع المناسبة لتلك المقدرة •• لا أحد من هؤلاء ••

فبيع الليمون فن بلدي ياليمون •• (من يستطيع أن ينتزع عددا من الليمون الجيد في زحمة البيع عند بائع الجملة ويدسها داخل سلته •• ثم ينقلها الى جيبه ليقوي بها زبائنه المتمردين •• لا أحد يستطيع اذا استثنينا عطية !!) • أحسن ليمون في مصر ! •

ورمى ببصره بعيدا فرأى امرأة مفرطة في السمنة تتمايل في سيرها يمنه ويسره،وفي يدها حقيبة من الورق المقوي ، وهي تجهد نفسهاما استطاعت لتهرب من الشمس شمس تموز ••

فحط عندها : أحسن ليمون بلدي ••

قال ذلك وسار بجانبها فتطلعت اليه وقالت:بكم الليمون؟

ـ : أربعة بقرش

فردت مستنكرة بعد أن وقفت : باعوه أرخص بكثير ؟

ادرك عطيه بعقله الصغير ، عندما توقفت عن السير بانها لا تعرف شيئا عن حقيقة الاسعار فقال يحثها على الشراء حقا بامكانك أن تشتري ستة أو سبعة بقرش •• ولكن، وأنا لا أكذب عليه ، لن تجدي فيها ماءمهماعصرت •• انظري لما عندي وان أحببت أعصر لك واحدة لتتأكدي ! :

فامتدت يد المرأة باستسلام ظاهر لتنتقي ، فعاونتهااليد الصغيرة ، المتصببة عرقا ، باخلاص واضح •• ثم قبضت على قرشين •• بينما راحت القدمان الطويلتان تتحركان بسرعة خاطفة ، وعلى شفتي صاحبها ابتسامة فوز وهو يقول : أحسن ليمون •• عندي أنا •• (سيكون الربح هذا اليوم وفيرا •• قالت : الحد الاعلى للبيع هو سبعة بقرش واحد ، وأنا طول يومي لم أصل للحد الاعلى••)

ـ : بلدي ياليمون •• أحسن ليمون بلدي ••

(سيكون الربح وفيرا •• لقد بعت ثلاثة بقرش واحد احيانا •• واربعة أو خمسة في أكثر الاحايين •• ولكن الفضل لا يعود لي وحدي فما انتزعته من الليمون في غفلة من البائع ، أعانتني في الواقع كثيرا • !)

ثم مد راحته الى جيبه ، وتحسس ما بها فوجد أنه لا زال هنالك ليمونتان فقال في نفسه : (سيكون هنالك صيدان آخران من المترددين •

ساضرب رقما قياسيا في الربح بين جميع الاولاد هذااليوم وستنظر « حميدة » بعين الاعجاب للسلة الفارغة ، واليد المليئة بالقروش ••

سيندثر احتقارها لي الى الابد •• وستتباعد اللكمات عن بعضها تلك التي تنتظرني كل مساء بلهفة جامحة •• من يدري ربما غدوت « كسيد » عما قريب •• لي يوم عطلة اذهب فيه الى النيل •• وقد تقبل أيضا نصحي وارشادي! من يدري ؟ •• هل كان « سيد » باحسن حال مني ؟)

ـ : أحسن ليمون ياناس •• أحسن ليمون

ولاحت له امرأة متعبة أنه يعرفها من نظراتها فهي من اللواتي يضعن أكثر الاوقات في الاسواق ، فطار اليها وقال : ست ليمونات بقرش واحد •• من أحسن الليمون ••

فقالت لتظهر مقدرتها : انها أسعار الشهر الماضي ! •

وبدأت حملة الاغراء فرفعت اليد الصغيرة العشب عن الطبقة السفلى فوقفت المرأة للحال فباردها عطيه بما يشبه الهمس قائلا ــ : خمسة بقرش

وفرزت المرأة دون مفاصلة ، ثلاثة ثم ضغطت على راحته بتعريفة واحدة ، وكأنها تمننه ، واقتنع عطيه بما أخذ لأنه يعرف مثيلاتها •• انها تغلب السوق قبل أن تغلب ••

ماذا سيفعل ؟ ليس باليد حيلة ، انها حاذقة ، ابنة كلب ولكن لا بأس فهو لم يتعهد الحد الاعلى ، الذي وضعته « حميده » والافضل أن يبيعها هو •• ولو بالتسعيرة الحقيقية •

وراح ينادي : بلدي يا ليمون ••

وبصره يقفز من عابر الى آخر ••

في ذلك الحين مر بجانبه صبي بمثل سنه فاستطلع

لبرهة ما بسلة عطية •• ثم راق له أن يقلد طريقة مناداته الا أن عطيه عاجلة برفسة على ظهره فتحملها هذا وقفز بعيدا ليعيد تقليده من جديد بصورة أبطأ الا أن عطيه تناساه واهتم بزبون جديد • ولما انتهت عملية البيع تطلع باحثا عنه انه يريد ان يفاجئه بكلمات سريعة كالتي يتلقاها من حميدة ••

وقبل ان يتحرك « عطيه » ليقبض عليه كان ذلك الولد قد حاذى جدار البناية المجاورة وظل يسير سيره الجديد حتى وصل الى شحاذ جالس وامامه خرقة بالية وعليها ثلاث تعريفات ••

كان الامر لا يتطلب مزيدا من التفكير ، انه يريد ان يغضبه بأي وسيلة فما كان منه الا أن قذف بقدمه تلك الخرقة فتطايرت التعريفات الثلاثة • ثم اسلم ساقيه للريح تلاحقه لعنات ذلك الشحاذ المهزول •

في هذه الحالة لا يستطيع عطيه ان يلحق به فالسلة اللعينة تحول دون ذلك فاكتفي وقد استشاط غيظا بمراقبة الشحاذ وهو يجمع اشياءه •

وبعد طول بحث لم يجد سوى تعريفتين ، والثالثة كانت مفقودة ، فعاد يلعن ذلك الصبي من جديد •

كان عطيه قد لمح التعريفة المفقودة وهي تدحرج على الرصيف ثم تسقط بجانب الحائط ، وبتمهل مقصود سار باتجاهها ثم التقطها وعاد بها الى الشحاذ الذي علا دعاؤه بشكل آلي رتيب •

تعجب «عطيه» كثيرا •• كيف بامكانه ان يجمع مثل هذه الكلمات باطار واحد ونفس منهدج •

وسرعان ما نسى الامر وراح يتفرس فيه بعض الوقت ثم سار وهو يقول في نفسه متعجبا : كيف تنزل كل هذه الرزايا بانسان واحد ولا يموت ؟ فقد احدى عينيه وفوق الاخرى شبكات حائلة من الخيوط البيضاء ، وفوق كل هذا فلقد بتر من يده اصبعان ، وبقايا جرح عميق في ساقه ، وراحت قدماه القذرتان تتنقلان بخفة ورشاقة مناديا : بلدي ياليمون ••

عاد يحدث نفسه (ياترى كيف ضيع اصبعيه ؟••• ربما كان سبب ذلك أفعى كانت تكمن لامهات الطيور في اعشاشها وكان يبحث عن فراخ الطير كما كنت أفعل• يا لطالما حذرني والدي وهددني بمصير كهذا) •

في الموضوع عنصر شيق بوده لو أطلع عليه بالتفصيل واستأنس كثيرا لهذه النتيجة التي وصل اليها فلقد استطاع بعدها ان يعود بكليته الى البيع لقد كان لايعدم الأمل في ان يبيع كل مالديه •

وبالفعل لم يطل به الوقت كثيرا فلقد تحقق أمله المرجو • وكانت الشمس على وشك ان تغيب • فسار متأبطا سلته باتجاه ذلك السائل • كانت به رغبة جامحة للتعرف على المسببات التي اودت باصبعيه •

ولما وصل اليه شاهده يتحسس التعريفات الثلاثة التي لم تزد وينتزعها من الخرقة وينهض يائسا ثم يسير باتجاه شارع الجلاء فبدا لعطيه ان الامر أصبح ميسورا اكثر في الوضع الجديد • ولما وصل اليه ، سار بجانبه • فعرفه السائل للحال وأراد ان يسترضيه لما فيه من فضائل بالنسبة للولد الاول ، فسأله بود ظاهر : هل جبر عن آخره ؟

أدرك الصبي انه يقصد الليمون فأجاب باسما : بلى

ـ انك ولد نشيط ••• وفقك الله

كان حب الاستطلاع في تحفز واندفاع ظاهرين • الا انه كان لابد من تمهيد فليقدم له رشوة بسيطة فربما اوصلته لما يريد فانتزع الصبي من جيبه الليمونتين الكبيرتين وقدمهما للسائل فتلقفهما هذا فرحا مسرورا وعاد يتمتم وفقك الله يا بني •• وفقك الله •

ومع ان الجو اصبح ملائما الا انه لم يستطع ان يحرك لسانه بالسؤال فقطعا مسافة طويلة صامتين ، عاد بعدها السائل يقول : ما اسمك •

ـ عطيه

ـ وأين تسكن ؟

ـ في الدمرداش •• مع اربعة غيري عند امرأة تسمى « حميدة »

ـ وأين يعمل والدك ؟

ـ لا أكاد اعرف أمي •• وأبي مات منذ خمسة اشهر

فذهبت بعدها مع احد الاولاد لبيت « حميدة » وكان قد سبقني هو الى ذلك منذ عدة شهور طلبا للمأوى لقاء اعمال معينة •

وضع السائل راحته السليمة فوق رأس الصبي وراح يدغدغ شعره ويقول بقلق ظاهر : لا أحد بمنأى عن الرزايا فلقد ماتت زوجتي بالتيفوئيد ولحق بها ابني البكر، وكان اسمه عطيه ••• والان ليس لي في الدنيا سوى ولد صغير اصغر منك بقليل اسمه محمود •

– وماذا يبيع يا عم ؟

– لا شيء •• ينتظرني في البيت في اكثر الاحيان

صمتا برهة عرجا اثناءها بزقاق ضيق ثم تابع قوله : سأعرفك عليه •

فسر الولد سرورا عظيما ، وهتف من اعماقه : سأعلمه كيف يبيع ويشتري ••• وعما قريب سيكون دخله عشرة قروش في اليوم على الاقل !

– ان شاء الله يابني

ثم ولجا غرفة رطبة يسبقهما صرير بابها المتداعي وهنا كعلى ضوء مصباح خافت صغير شاهد محمودا فراق لهالصديق الجديدفالتفتالى الوالد وسأله : مارأيك لو صحبته للبيع اعتبارا من الغد ؟

– ليكن ماتريد •

فارتسمت على شفتيه ابتسامة فوز الا انها سرعان ما غاضت وهو يقول : ياه لقد تأخرت !

ونهض عن الاسمال التي كان جالسا عليها وفتح الباب وهو يقول : السلام عليكم ••• ثم سار باتجاه محطة الترام متأبطا سلته •

لاشك بأنها ستضربه لتأخره وقد يزداد الضرب أيضا بدعوة انه لم يربح كثيرا •

ألم تضربه مرة ضربا مبرحا لأنه لم يستطع ان يبيع نصف ما معه من الليمون لكساد لا يعرفه مع انه لم يترك الامر ينتهي على ماهو عليه من خذلان اذ واتته فرصة سانحة فسرق قلم حبر من أحد المغفلين ، في زحمة البيع •

قام بذلك ليسترضيها ومع ذلك فلقد ضربته بدعوة انه كان يلعب • ولما هدأت قليلا عادت فضربته مرة أخرى حتى يمتنع عن السرقة ريثما يعلمه سيد فن النشل لأن هذه المهنة كما قالت تتطلب الحذر وتتطلب أيضا وقبل كل شيء اصطياد الشيء الثمين ومن يومها قرر ان لا يسرق نكاية بها •

وفي الغد البعيد سوف لا يتلقن هذا الفن

واليوم ترى هل ستعفيه من الضرب ؟ انها لم تفعل ذلك في أي يوم مضى •

فهل تنقذه القروش التي تجمعت من تلاعب الاسعار؟ أبدا لن تعفيه فسوف تجد الف سبيل الى ضربه •

فقلم الحبر بما در عليها لم يمنعها من أن توسعه ضربا ورفسا •

لاح له خاطر ابهجه كثيرا بل جعله يركض باتجاه بيت الشحاذ وهو يقول : اذن لابد مما هو حاصل

وجد محمودا في طريقه وبيده صحن من الالمنيوم فقال له : الى أين يا محمود

– لأشتري فولا وخبزا

– اذن تعال معي

وانطلقا مسرعين ودخلا على الوالد لاهثين

سأل عطية موجها كلامه للسائل : اذا كان كل ست ليمونات بقرش واحد فما ثمن مئة وثمانين ليمونة ؟ ثلاثون أليس كذلك ؟

– طبعا

أخرج عطية مافي جيبه من دراهم ثم انتزع منها بسرعة ثلاثين قرشا وأعادها الى جيبه ورمى بما تبقى الى الرجل وهو يقول : انت أحق منها

وبلمحة علا صرير الباب ثم اختفى خلفه •

نديم أحمد طابوشة

تقول : نسيت ليالي الوصـال	وأيام نلهو على الرابيـة
وليلة رحنـا نحث الخطا	بعيدا الى بقعـة نائيـة
بعيدا عن الاهـل والاقربين	الى المنبـع الثر والساقيـة
فألقي برأسي لصـدر قوي	أحس به قوة طاغية
وانصت في بهجـة وانشراح	لتهمس في مسمعي أغنية
فيا شاعري لاتطيـل البعـاد	فان اللهيـب باحشائيه

★ ★ ★

سليمى اثرت بقلبي الشجون	وحولت صـدري الى مجمره
تقولين : عد لليالي الوصال	ليالي المباهـج والترتره
فكيـف اغني الهوى والغرام	واحيي ليالي الهنا المقمرة
وفي موطني ما تزال الجمـوع	تساق ـ على الرغم ـ للمجزره
فموطننا قد غدا للعدو رحيبـا	واضحى لنـا مقبرة
نكبل فيـه يوضـح النهـار	لينشب مستعمر أظفره !

★ ★ ★

الغـد المشرق

هو الشعب لبى نداء الحيـاة	نداء الوجود نداء العروبة
فثـار على الخائنين اللئام	ليطمسهم في مها ورهيبـه
ويبني كغيره في العالمين	ويأخذ ممـا بناه نصيبـه
فلا ظالم يستبيح الحقوق	ولا ادمع بالخدود حبيبـه
ولا السوط يهوى على الابرياء	ولا الارض بالدم تبدو خصيبه
فتبـدو العروبة في حلـة	من المجد والكبرياء قشيبه

★ ★ ★

هنا لك اذ امتي أمـة	لها مالها كبقـايا الامم
فلا غاصب في الربوع مقيـم	ولا مستبيح لخير الذمم
بل الكل في رغد ورخـاء	وكل لحق له يسـتلم
ترف عليهـا زهور الهنـاء	وقد انبعث بعـد طول العدم
هنالك القـاك يا فتنتي	واسمعك الشعر عذب النغم
ونمرح في الحقل في بهجـة	ففي الحقل عن اهلنا معتصم

★ ★ ★

الكويت ـ علي سبتي

تحيـــة دمشق

بالأمس زرتك والأصفاد في قدمي　مقيد الروح والافكار والقلم
أمر والناس تغفو في قواقعها　كأنها طيلة التاريخ لم تنم
ماذا دهى الشمس؟ان الشمس مطفأة　ضلت أشعتها التسيار في الظلم
ماذا دهى الشعب؟ان الشعب في سنة　من التواكل والتسليم والعدم
وقادة الفكر ماذا من سوانحهم ؟　جفت وغاضت كشيخ طاعن هرم
والمجد شطت به الايام عن بلد　لاه عن المجد ، بالخذلان منهزم
هذي دمشق تفيق اليوم ثانية　لترفع الرأس بين الناس والامم
وتحمل الراية الحمراء ماضية　بين الزحام ، الى الجوزاء والامم
دمشق يا قلعة في الشرق صامدة　في وجه كل دخيل طامع نهم
ما كنت الا جدارا صد قافلة　من الطغاة أساءوا شيمة الكرم
فكنت في وجههم نارا مؤججة　وكنت في دربهم جيشا من النقم

* * *

واليوم عدت وبي شوق وبي ظمأ　الى دمشق وقد ثارت على الصنم
أعود والروح سكرى في مسرتها　والقلب يرقص مفتونا بلا نغم
أمر في الدرب ألقى الشمس ساطعة　والبشر تعجز عن تفسيره كلمي
لاقيد ، لاغل ، لا أصفاد في قدمي　لاذعر ، لا رعب ،لاأشجان في قلمي

شيكاغو ـ ممدوح مولود

وتعود تسـألني

شعر ـ غادة سلهب الحصني

سؤالك هذا العجيب ..
أذهلني ..
أطلعته شفتيك
بلباقـة ..
ببساطـة ..
ببراءه في ناظريك
تسألني ..
ماذا وجدت لديك
شيئاً يقربني اليـك
وتعود تسألني
أنت من صيرنـي
ولهـى ..
تقدس راحتيك
وتود لو يفنى الوجود ..
ويعود يبدأ من جديد ..
لتكون منك لا صغريك
قـربي
كقرب الرؤى
من .. مقلتيك
ماذا تريد .. ؟
شيئاً يدغدغ مسمعيك ؟
ياعنيد
أولا تحس بخلجتي
وأنا لديـك

أولا تحس بنظرتي
ظمأى ..
تعب من خمر وجنتيك
ماذا أقول ..
ودمائي الجارية
في عروقي ..
تستجير ..
من دخيل
حبه ينبض في كل ذره
من دماها القانيه ..
لله دره ..
من هو ؟ تومي اليك
وتثور مني ، لا عليك
أتبتغي مني الجواب ..
اولا ترى ..
انهزامات الضباب
عن مرقدي
والصقيع المذاب عن موقدي
عن جبال عن سهول عن شعاب
من عواطف
تحتويها أضلعي ..
من أحاسيس عميقة ..
قاروره الطيب هريقه ..
أهرقتها أدمعي ..

دمعة من كل عين
تتبدد ..
فتناديـك اليهـا ..
بصرخه .. ببجه
فيها توحيد ..
بحبيبات صغيره ..
تلألأت فوق جبيني
تتحدى ..
هي الصدى ..
لانفعالاتي القوية
ويـــد
تمتد تستجدي
لمسه ..
ولو خلسه ..
من أناملك الشقيه ..
ياحبيبي ..
أو تسمع ؟
لهفتي تهتف باسمك ؟
أين أنت ..
فتجيبني العين برفه
هـا هنا .. عندي
في كـل طرفه ..
ويصفق القلب بفرحه ..
خبأتـه
هدهدته
أسكنته في كـل جرحه ..
وتقول لي ..
بعـد أن هتك الحجاب
عن مدى سري ..
عن الجواب ..
أود لو أصدق ..

يازهرتي ..
ياغايتي ..
أولي أنـا !!
هذي العطور ..
هذي السطور .. هذي البحور
وسر عالم يدور
في مقلتين ..
عجيبتين .. قادت خطاي
أولي أنـا
هذي الشفه ؟
زر ورد قد غفا
أوراقـه حروف
يبعث منهـا اللهب
تروي حكايا كثيرة ..
عـن حقول العنب
عـن عناقيد البراري
عصرتها الشهب ..
تخمرت وتبخرت
وقال الله انسكبي
واذا شفه ..
تعـربد
بطهارة ، ببراءة
تنوي الصـلاة
تركع ثم تسجد
وتبتعـد ..
تجر ذيل الشفق ..
ياحلوتي .. ترفقي
أيقظت مني قلقي ..
لن انثني ..
ولـكني أخاف ..

أخاف أن تحرقي ..
مني الحنين ..
واريته منذ سنين ..
في أضلعي ..
هي كبريائـي ..
لا تجرحيها ..
أبيع عمري كلـه
أبيع حبي
وأشتريهـا
هي كبريائي .. احذريني واحذريها
أقدسها أنـا
فقدسيهـا ..
يامعبدي
هي كبرياؤك يا من أحب
عشقتها ..
هي هالة فوق الجبين
من أجلهـا ..
ولهـا أعيش
دنيـا غـدي

هي خافقي ..
أهديتهـا حبي التقي
وزهرتي ..
ووردتي
وفوح طيبي العبق
هي كبرياؤك يامن أحب
استوطنت منك المقل
كانت لديك ولم تزل
عشيقة مفضلة ..
ما أجمله ..
حبهـا .. لن تقتله
هي البستك رداءها
هي أطعمتك غذاءها
فلو جحدت عطاءها
وتركتهـا
لترتحـل ..
سيكون حبي قـد رحل
تـرى ..
أتعود تسألني

غادة سلهب الحصني

صدر حديثا

صهيل الجواد الابيض

مجموعـــة قصص

زكريـا تامر

بين الاطلال

بين اطلال تدمر ورمالها كان ميلاد هذه القصيدة

أي سر هدهدته يا رمال ... طاب فيه الهوى وطاب الخيال
هل سرت فيك العهود الخوالى ... رعشة الشوق فاستفاق الجمال
أم سرت فيك من زنوبيا اطيا ... ف ، فغنت ورق ورفت ظلال

* * *

أنا أدرى ! وان أطلت سؤالي ... وجميل على المحب السؤال
انه الحسن يا رمال ، وهذي ... آية الحسن في النقا تختال
زانها من وداعة الطفل سحر ... وزهاها حياؤها والدلال
وزعت فيك من مفاتن هدبيـ ... ـها فاصبحت جنة يارمال

* * *

سألتني وقد رأت في عيوني ... طيف شعر ، يحدو به التسآل
أي سر معطر مس جفنيـ ... ـك ؟ وماذا أوحت لك الاطلال؟
سائلي مقلتيك يافتنة الدهـ ... ـر ، أفي غيرها حديث يقال ؟
ليس في تدمر العظيمة هذي ... بعد عينيك روعة أو جلال
أنت مقطوعة يرتلها السـ ... ـحر وتروي جمالها الاجيال
أنت دنيا مفاتن وطيوب ... لم تسعها الاحلام والآمال
ونشيد على الزمان حبيب ... رددت لحنه الليالي الطوال
أنت فردوس كل قلب شقي ... مثل قلبي ، محا هداه الضلال
ليس في غير مقلتيك هداه ... وبهدبيك أمنه والظلال

١٩٥٤

مدحة عكاش

كتب وقراء



« أيام معه » ... دعوة لا أخلاقية

بقلم : غسان كنعاني

حينما كتبت فرانسواز ساغان قصتها الاولى، « مرحبا ايها الحزن » تناولها معظم النقاد من حيث كونها قصة جريئة لفتاة صغيرة مزودة بتجربة ، مصاغة ببراعة فنيه .. كانت فرانسواز ساغان قد كتبت قصة،وليس محاضرة أو فلسفة .

كانت فرانسواز ساغان ، بالاضافة لكونها فتاة صغيرة ذات تجارب ، كانت ، أيضا ، فتاة صغيرة صاحبة أسلوب فني ، وهكذا كانت الطريق التي فتحتها أمام الفتيات الآخريات تتطلب التجربة، والاسلوب الفني جنباالىجنب لم تكن مرحبا أيها الحزن تجربة جريئة فحسب ، بل كانت تجربة جريئة أوصلها الاداء الفني الى مستوى « قصة » جيدة .

ولكن فرانسواز ساغان كانت بالنسبة لبعض الادباء نموذجا للجرأة فحسب،شيئاً تشبه ممثلة سينمائيةصعدت الشاشة بدافع من اغراء مشيتها ، وهكذا فلقد توكأوا عليها راغبين في أن يبرزوا أنفسهم بصفتهم يتمتعون بجرأة « تقدمية » ممتازة..وحاولوا أن يطمسوا عجزهم الفني بتكديس المزيد من هذه الجرأة « التقدمية » ... ومباشرة بعد كتب فرانسواز ساغان الاول غرق السوق بنماذج من « فرانسواز ساغان ».. ووجد الهابطون الجدد الى السوق بعض الابواق التي تستطيع أن تنفخ جيدا ، وان تملأ الدنيا صخبا بلا مبرر .. وضاع في زحمة هذا الضجيج الموهبون الذين لم يجدوا أمكنتهم داخل هذه الفوضى .

« أيام معه » كتاب جديد في السوق ، غلاف أنيق وأوراق مقصوصة باعتناء ، ومصقولة ببذخ ، ثمنه هنا اثنتا عشر روبية ، ويدفعنا لشرائه مقال كتبه « أديب » في جريدة ما يقول ، بلا مسؤولية : « انه كنز للادب العربي المعاصر .. » .

داخل هذا الكتاب قصة مكتوبة من أجل أن تنقل مأساة المرأة في الشرق ، وقدرة بعضهن على تكسير القمقم والانطلاق منه ، وغرور الرجل الشرقي،وعبودية بعض النسوة اللواتي يرفضن التحرر ، وكذلك كتبت القصة

فتاة شرقية مراهقة في هذه الآونة ••• فبعد صفحات نتعرف على ريم تماما ، ونعرف انهاتملك سيارة تقودها ساعة تشاء وحيث تشاء •• وان معظم اصدقائها – كما تقول هي – من الرجال (ص٧٣) ، وان أباها كان يحترمها ويحترم آراءها : (ص ١٨) وانها في مستوى مادي ممتاز ، وانها تلعب القمار في نادي الشرق (ص : ٢٢٨) وتسكر (ص : ٣٦١) وتدخن ، وهكذا يصاب القارىء بخيبة أمل منذ البدء ، فالمشاكل التي تقع فيها ريم ليس لها مبرر على الاطلاق ، والبحث عن الألم في جنبات القصة الاجتماعي ومحاولة التمرد عليه بالنسبة لفتاة من هذا المستوى يوقع القصة في متناقضات عجيبة ••• « فالصفه » الاولى التي يصفها المجتمع للبطلة هي ان أهلها يحرمونها من الدراسة في الجامعة (ص : ٧٢) والقارىء لايستطيع أن يصدق ، على الاطلاق، ان مثل هذا المستوى الاجتماعي تحصل فيه مثل هذه الامور، لماذا يمنعها اهلها من الدراسة في الجامعة ويسمحون لها بأن تسوق سيارتها ، وتقيم الحفلات ؟ هي تقول ان معظم اصدقائها من الرجال فلماذا يمنعها اهلها من الذهاب للجامعة ؟

وريم تريد ان تشتغل ، لا لشيء ولا لحاجة ، الا لأنها تؤمن بأن عبودية المرأة للرجل ناتجة عن « ارتباطها المادي به » (ص : ٢٦) وهي تريد أن تحرر نفسها من هذا الارتباط •• يأت هذا الكلام بعد ان يكون القارىء قد تأكد بصورة لاتقبل الجدل بأن مستوى (ريم) المادي مستوى لائق ، وجيد ، وانها « بنت عائلة » وان « مالها يكفيها » (ص : ٢٧) •• اذن لماذا تشتغل ريم ؟

ولكن الصفحات التالية تنقل المشكلة ، مشكلة مجتمع حاولت ان تختار المؤلفة منه نموذجها ، الى مشكلة نفسية ، ان البطلة تحب ، ولكنها لاتريد الزواج ، وتزور زياد ، وتشتغل في وظيفتها ، رغم ذلك تشعر بالملل ••• لماذا ؟ انها تزور زياد بكل جرأة، ويزورها زياد ويجالسها على ضوء فانوس صغير اصفر ، وتذهب معه للسينما ، وتتحدث بكل هذا عن رجعية المجتمع وعدم قدرة الفتاة على التحرك داخله ••• لماذا ؟

ان القارىء يحس ، فيما هو يقرأ أيام معه بانها ليست قصة من هنا ، وان بعض الاسئلة التي تطرحها ليس لها مبرر على الاطلاق •• ان الاسئلة هذه التي تفاجىء القارىء بين الفينة والاخرى تصيبه بالدوار ، لا لأنه رجعي زنيم ، كما تحاول ريم ان تقول ، ولكن لأن هذه الاسئلة لا تحتوي على أي عنصر من عناصر المعقول هنالك سؤال مثلا « ماذا فيها لو دعوت شابا لتناول القهوة معي ؟ » وفي ص ٢٥٣ سؤال آخر ، طريف : « وهل هناك مانع كي يقبل الصديق •• صديقته ؟ » ان صفحات الكتاب مليئة بمثل هذه الاسئلة التي ترتفع – فجأة – كشوكة في حلقة القارىء ، ان السؤال الرئيسي هو : « الى أي حد تحمل مثل هذه الاسئلة من الواقعية والمعقولية ؟• » وهل مشكلة المرأة الشرقية هي في انها لاتستطيع ان تدعو شابا لتناول القهوة معها ، وانها لاتستطيع ان تقبل صديقها لأنه صديقها ؟

الواقع ان المشكلة الرئيسية للمرأة الشرقية، كما فهمناها من النموذج المقدم في « أيام معه » هي شعورها بانها تابعة للرجل تبعية مطلقة، ان ريم تحاول في القصة ان تتحرر من هذه التبعية ، ولكنها تسلك الطريق الخاطىء •• لذلك تقع من جديد في الورطة ذاتها فتشعر زياد بأنها تابعة له ، وبانها تحتاجه الى الحد الذي توشك فيه أن تمتصه •• انها تتصرف بوحي من شعورها بانها تابعة •• وهكذا فان القصة لم تقدم جديدا ••• وزياد ، النموذج الشرقي ، لم يكن يحمل ملامح اي انسان يمكن لنا أن نعرفه •• انه رجل عابر ، يتصرف كفنان دون ان يكون له أي حساسية فنان ، انه مجرد زير نساء يؤمن بان الحب علاقة عملية ، كل خبرته تعرف بأنه مريض بما استطيع أن ادعوه « غرور الرجل الشرقي » الا انها فشلت في تكسبه ، وانتهت القصة بانها تركته ، او فقدته، وكانت ريم على يقين بأن زياد في القصة تحاول المؤلفة ان تشعرنا أنه التحليل الحقيقي لزياد ، هو قول ناديا في القصة : « ان رواسب الشرق تنخر في اعصابه ، انه تائه ••• يركض دائما •• يحاول ان يبرهن انه ليس

محروما لأنه يعرف ان الحرمان ولد معه ، وفي ذراته » ورغم ذلك فان ريم كانت تتصرف عكس هذا الكلام ، **كانت تحاول ان تكسبه من هذه النقطة بالذات** •• كانت تحاول ان تستغل حرمانه حتى اقصى حد مستطاع ،وحينما استطاعت ريم ، في النهاية ، ان تكسب حبه واحترامه ، تركته لماذا ؟ اننا نتصور ان السبب الرئيسي لتركه كان في ان ريم حاولت ان تمثلدور فتاة تقدميةاكثر من اللازم •• فتاة وجودية بالمعنى السطحي ، ففي آخر صفحات القصة موقف مسرحي تترك فيه ريم زيادا بعد ان تعرف انه غارق في حبها حتى شعره •• تتركه •• لماذا ؟ هكذا! تتركه بلا أي سبب سوى انها كفت عن حبه ! ولماذا كفت ريم عن حب زياد بعدما استطاعت ان تنجح في أن تحطم غرور الرجل الشرقي فيه ؟ لماذا ؟ هل قدمت لنا مبررات كافية تبرر كفها عن حبه ؟ ان القارىء يتصور ان الجواب على هذه التساؤلات يمكن ان نجده في الصفحات التي حاولت « ريم » ان « تتحرر » فيها من المجتمع •• لقد خرجت من ذاتها ، فقدت كل الجذور التي كانت تربطها مع حياتها ولم تعد تعرف ماذا تريد ••• ان المؤلفة تعتقد انها قدمت لنا نموذجا يعرف كيف يتحرر ولكن الحقيقة هي ان تحرر ريم له يكن سوىضياع اعمقمن ذي قبل•• ان تحرر المرأة لا يمكن أن يكون تحديا لا اخلاقيا لقيم يقوم عليها المجتمع في علاقاته ــ هذا المجتمع الذي نعيش في متناقضاته رغم انوفنا ــ ان تحرر المرأة يجب أن يبدأ من منطلق اخلاقي •• ان ريم ليست سوى دعوةاخلاقية

ما هي « اللحظة » التي تصر ريم على أن تعيش لها في كل صفحات الكتاب ؟ كل انسان يعرف ان اللحظة هي امتداد الماضي اولا ، نصف اللحظة ماض ، ونصفها الاخر مستقبل •• اننا مقيدون في اننا خلاصة ماضينا ومرتبطون ــ رغم انوفنا ــ بمستقبلنا ••• فماذا بقي من معنى اللحظة التي تريد ريم ان تبنيها مجردة عن الماضي والمستقبل معا •• لقد ادت رغبتها في أن تعيش لحظتها بانقطاع الى غرقها في « وجودية » ــ كما يبدو انها تفهمها ــلولبية لا تحتملها أي قيم موجودة ••• ان المجتمع الذي اسرفت ريم في مهاجمته لم يكن ــ في القصة ــ سوى السد الاخلاقي الذي يقف بين الحرية اللامسؤولية ، والتحرر الذي يعرف كيف يتصرف •• لقد كانت ريم تهدم هذا السد بالذات ، بينما كان من المفروض ان ترتكز في تحررها على مهاجمة اللا اخلاقية التي تعشوشب في اركان المجتمع •

\- ٢ -

في ص (١٠٤) سؤال مفاجيء يذهل القارىء ــ القارىء الشرقي الذي كتبت القصة من أجله ــ : تساءل فجأة : « أأنا أحب هذا الرجل •؟ هذا الرجل الذي تجرحني ارواؤه المادية ، والذي لا يعرف كيف يحب ••؟ »

يأتي هذا السؤال بعد أن يكون قد تركز عند القارىء ــ القارىء الشرقي طبعا ــ شبه يقين بأن العلاقة بين زياد وريم اصبحت لاتحتاج لمثل هذا السؤال •• فهنالك كلمات لا يمكن ان يقولها رجل لامرأة ، أو تقولها امرأة لرجل الا اذا كانت العلاقة بينهما اكثر من «مجرد علاقة فكرية صافية ، وصداقة شفافة •• » (ص٨٨) فهي تقول له في (ص٩٠) مثلا ان قطعته الموسيقية قد اعجبتها ، وتردف : « واعجبني فيها مؤلفها •• » ويكون زياد قبل أن تسأل سؤالها المفاجيء قد زارها عدة مرات في بيتها وهي وحيدة ، وتغزل بها في (ص٩٥) ،وذهبت معه للسينما في (ص١٠١) وفي (ص١١٠) قبلة مسرحية قبل ان تقرر حبه بعدة صفحات ••

وهكذا فان احدا لا يستطيع ان يتصور بأن قصة « أيام معه » تعالج مشكلة المرأة في الشرق ، ولا حتى مشكلة الرجل •• ان المؤلفة لم تستطع ان تلتقط الوجه الحقيقي لعلاقة المرأة الشرقية بالرجل الشرقي •• ويبقى القارىء يحس طوال قراءته الصفحات الانيقة بأن المؤلفة غريبة ، وانها تعكس حياة ليستمن عندنا •• وربما تكون حياة طبقة ما في مجتمعنا ، لا انها طبقة بلا جذور شرقية على الاطلاق ••

انني طبعا لست في مجال بسط آرائي حول الازمة الاجتماعية في الشرق العربي •• ولكن مما لاشك فيه

ان هنالك ازمة ، وهي في صلبها ازمة شعور بالقيمة ، ان المؤلفة تضع يدها على الخط العريض لهذه المعضلة ، ولكن بطلتها متناقضة تنبع من رغبتها في أن تمارس حرية بلا نهاية .. في ان تكون « وجودية » ـ هذه الوجودية المسكينة ! ـ تحكم ُهفا عن كهوف السان جرمان بكل مافي نفسيتها من عقد مركبة .

ما من شك في ان حاجتنا لتمرد المرأة العربية على واقعها القمقمي حاجة ماسة .. ولكن التمرد ليس صوتا في الهواء ، أو بدءا من نهاية الشوط ، أو تهربا من قيم فاضلة ... انا نطالب بحقوق المرأة داخل اخلاقية المجتمع ، نطالب بأن تبني المرأة حريتها من الداخل ،من نفسيتها أولا محافظة على تماسكها الاخلاقي في علاقاتها الاجتماعية ..

ان صراع ريم في (أيام معه) من أجل تحرر هو مجرد دوران صاخب في فنجان بلا قعر .. ليس هذا فحسب ، بل هو نموذج للدعوة اللا اخلاقية ، ان تحرر المرأة الشرقية يجب الا يبدأ من اسئلة كتلك التي كانت ريم تقذف بها وجه المجتمع : « ماذا لو ذهبت مع شاب للسينما ؟ ماذا لو دعوته لتناول فنجان قهوة في دارنا ؟ ماذا لو قبل الصديق صديقته؟ » اذ أن هذه الاسئلة تستدعي سؤالا آخر ، رئيسي : « لماذا لا تذهب ريم لتعيش في التجربة الاوروبية طالما هي تعتقد بانها مثل أعلى اخلاقي؟»

وفي الحقيقة ان القصة تحتوي على كثير من علائم النفسية الميالة للتجربة الاوروبية .. ان اوروبا هي الوحي في تصرفات ريم .. وكل المقارنات تقوم على اساس اننا في طريقنا لكي نكرر التجربة الاوروبية ، بل ان الحل الذي انتهت اليه ريم في القصة هو ان تسافر الى اوروبا كي تنسى في حضارتها مأساة الشرق !

انني اعتقد ان هذا هو الفخ الذي يقع فيه مؤلفونا حينما يريدون من مجتمعنا ان يكرر تجربة ماضية بكل ميكانيكية ممكنة .. انهم يحرمونه من شخصيته وملامحه ويردونه ان يتخطى مراحل تطوره والمشكلة تبقى ، في كلتا الحالتين ـ مشكلة عدم شعور بالقيمة ، أي اننا مازلنا ندور في نفس الحلقة المفرغة، ولكننا غيرنا معاني الكلمات.

- ٣ -

لم يبق شيء يميز « أيام معه » كقصة « جريئة تقدمية » سوى انها جريئة ان القارى يكتشف ان الجرأة هي بضاعة المؤلفة الوحيدة بينما يفهم من الجرأة انها القدرة على تحدي الخطأ الماثل بوضع الاسس الجديدة .. وكلما كان الخطأ شائعا اكثر ، كان تغييره يستلزم جرأة اكثر .. ولكن السؤال هنا هو : « الى أي حد ُانت جرأة « أيام معه » مجدية ؟ وهل كانت هذه الجرأة منصبة على تحدي خطأ ماثل ؟ هل استطاعت هذه الجرأة ان تنهي الازمة الى حل ما ؟. الى وضع افضل ؟ الى بداية حل او بداية طريق لوضع افضل ؟ »

وفي الحقيقة ان افضل رد على هذه الاسئلة هو ماكتبته الاديبة الكبيرة نازك الملائكة في العدد من مجلة « الآداب » في نقد قصة « جريئة » لزكريا التامر : ـ

« ... تنهار القصة اذا كان المقصود بها ان تكتب فنا غير اخلاقي ، فتصبح اللاأخلاقية غاية يستهدفها الكاتب ويضحي من أجلها بالفن والواقعية معا ، والامر كذلك حينما تصبح اللا أخلاقية غطاء شائعا او زيا مستوردا نفرضه على مانكتب لمجرد انه مستعمل لدى غيرنا .. وانا أكاد أميل الى أن اسمي قصة زكريا التامر شبه دعوة لهدم الاخلاق العربية ، سواء كان الكاتب يقصد ان يدعو لذلك، أم كان يكتب وهو غافل لمجرد انه ينساق مع دعوة خفية يبشر بها أناس من وراء الستار .. وما من دعوة ، من وجهة النظر القومية العربية ، اسوأ نية من الدعوة لهدم الاخلاق ... »

اننا نستطيع ان نكرر نفس المقطع بالنسبة للاديبة كوليت خوري .

- ٤ -

كان من الممكن ان تكون (أيام معه) مجرد مذكرات يومية لفتاة ارستقراطية ترغب في أن تدخل حركة ما الى حياتها الباذخة المتداعية ، لذلك تخوض تجربة ، او تفتعل تجربة ، كان من الممكن ان تكون يوميات فتاة في العشرين

من عمرها – ريم – تعيش وحيدة مع خادم ومربية ، وتقامر في نادي الشرق ، وتدخن ، وتسكر ، وتسوق سيارتها خارج دمشق من أجل أن تنسى مشكلتها ، وتذهب للسينما مع صديق ، وتدعوه لشرب القهوة في دارها ، وتذهب الى بيته منفردة كي تسمع موسيقاه ، وتبني علاقة معه رغم انها مخطوبة ، ويكون اكثر اصدقائها من الرجال .. قد تكون « أيام معه » يوميات شابة من هذا الطراز ويوميات ناجحة الى حد بعيد لنقل المستوى الحياتي لطبقة ما ، ولكن المؤلفة لن تستطيع ان تصر – كما تكرر في كل صفحة من كتابها تقريبا – بأن ريم هي النموذج المتحرر للفتاة الشرقية والتي تعيش في عبودية المجتمع .. حينما سمعنا عن ان كتاب (أيام معه) يعالج بجرأة مشكلة المرأة في الشرق توقعنا ان يكون الكتاب قصة لمطلقة مع اولادها .. او قصة زوجة ثالثة ، او قصة فتاة مع أب عربيد ، او قصة امرأة مسجونة في قيود رجعية قاسية ، او قصة أم تناضل من أجل اولادها ، أو قصة فتاة تريد أن تتحدى المجتمع بأن تكون اكثر اخلاقا لا أقل مسؤولية .. فهذه هي عينة من النماذج التي تتكرر يوميا في حياتنا الشرقية .. اما مستوى ريم فانه مطمح كبير .. حتى لشاب في الخامسة والعشرين من عمره ..

ان الرجال ، في الشرق ، يعانون من ضغط التقاليد البالية اكثر مما تعاني (ريم) .. اكثر بكثير .

* * *

هذا من حيث المحتوى ، أما طريقة الاداء فتتميز بأربع صفات :

١ – تدخل المؤلفة في الآراء وفرض المغازي وعدم ترك أية نتيجة يكسبها القارىء لوحده ، سرد المحاضرات التي كان من المفروض ان يستعاض عنها بحوادث تعطي نتائج .

٢ – الخروج عن خط القصة العام في بعض المحاورات والشعور بانها مجرد ثرثرة نسائية لا علاقة لها البتة في مجريان الحوادث .

٣ – الاسلوب الشعري الذي لايناسب الرد القصصي والذي يدخل عنصر اللا معقول في الحوادث .

- ١ -

سوف نترك الملاحظتين الاوليتين على أساس ان هاتين النقطتين متوفرتان في الكتاب الى درجة لاتحتاج الى برهان او تنقيب . ان التدخل والتحليل واضحان في الصفحات بصورة لا تقبل الجدل .. ولا فائدة من تكرار الحديث عن خطأ التدخل والتحليل في القصص لكثرة ما بحث هذا الموضوع .. ولكننا سوف نكتفي بالاشارة الى أن **القارىء يشعر ، طوال قراءته القصة** ، بأنه مقيد الى افكار المؤلفة بصورة مفتعلة ، أو انه محشور في قفص تعليماتها واستنتاجاتها الى درجة يتأكد منها انه لا يقرأ قصة وانما يطالع دستورا ، ليس في القصة أي حادثة متروكة لذكاء القارىء ، وهذا يشعره بأن المؤلفة لاتثق به كثيرا .

أما عن الحوار المحشو بلا مبرر فانه متوفر ايضا ، ولكنه بصورة أقل من المحاضرات ، ان كلمة « محشو » هنا تعني بان هذا الحوار لايزيد ولا ينقص من القصة شيئا ، وانه لا يوحي بأي شعور يساعد على فهم الشخصيات أو الحوادث وعلى سبيل المثال فان (ص٥٨) و (ص٥٩) محشوتان بحوار عن شهادتي البكالوريا السورية والبكالوريا اللبنانية ، ولماذا لاتسعى الحكومتان الى معادلتهما .. وكذلك فان صفحات كثيرة مليئة بحوار غزلي لايتصف الا بالشاعرية المفرطة التي لا تساعد أبدا على فهم الحوادث او الشخصيات .

هذا اذ استثنينا بعض الحوار المكتوب بالفرنسية ، وقصيدة مكتوبة بالفرنسية أيضا ، وجملة بالانكليزية .

تبقى نقطة النرجسية ، والشاعرية .. اما النرجسية فانني أخاف ان أتورط في الكتابة عنها اذ ربما تكون صفة من صفات الادب العفوي ، ولكنني كقارىء ، فقط ، اشعر أحيانا بان الافراط في هذه (النرجسية) يشوه طبيعة الحوادث .. ورغم ان اكثر كلمات التودد والمديح والغزل تأتي على السنة الاخرين ، الا أن الواحد منا لا يستطيع ان ينسى ان (ريم) تتذكر هذه الكلمات بوضوح ، لتكتبها بوضوح .. ان القارىء لا يستطيع ان ينسى بان ريم هي التي تتحدث طوال الصفحات .. وان وضع كلمات الغزل والمديح والتودد من عملها

لوحدها ..

على أي حال .. ان الكلمات التي تفيض بالنرجسية تأتي أيضا على لسان (ريم) وهي تحدث نفسها ، وهي لاتقل أبدا عن الجمل التي أتت ـ في القصة ـ على ألسنة الآخرين .

من المفروغ منه أن الضمير (أنا) في القصة لايعني « أنا » فعلا ، بل هو وسيلة للتعمق في استقطاب المشاعر الشخصية ، ولكن في (أيام معه) يتأكدالقارىء ان « أنا » هي « أنا » وفقط ! وهكذا فان ضمير المتكلم في القصة لم يكن وسيلة من أجل الصدق فحسب .

فهي تقول مثـلا في (ص١٨٩) : « أنا التي افني حياتي معه من أجل ازدهار بلدة واحدة (١) » وتقول في (ص٤١) : « انه من هؤلاء الرجال الذين يجب أن تتحاشاهم فتاة شاعرة مثلي ... » وتقول أيضـا في (ص ٦٢) : « كيف أكون غريبة وأنا حبيبة الشـعر وابنة الدفء والحياة ؟ » وفي (ص ٢٦٧) : « ورفعت نحوه عينين نجلاوين زاد فيصفائهما سرور الطفولة .. » والحقيقة ان هذه الجمل لا تدل على أي شيء اذا أخذت مفصولة عن روحية القصة ككل ، ولكن الملاحظـة الهامة في هذا الموضوع ان المؤلفة فشلت في ابراز عنصر التعاطف بين الكائنات الاجتماعية ، هذا العنصر الذييكفل للقصة عدم الانحراف الى النرجسية المغرضة .. اننا لن نتعدى على (فردية) ريم في القصة ، ولكن اظهار علاقة التعاطف كانت ضرورية من أجل محو أية فكرة تؤخذ عن نرجسية ريم .

وبين النرجسية ، والمحاضرات ، نحصل على قليـل من الاقوال التي تأخذ طابع «أقوال مأثورة» ان هذه الحكم والاقوال تملأ نواحي القصة بصورة ملفتة للنظر ، ولكن بعضها يدين المؤلفة بانها تناقض نفسها .. اننا نستطيـع ان نستشهد بالحكمة التي وردت في :«الزواج والفن لايجتمعان .. » كي نسأل ريـم بأي حق تقرر مثل هذه الحقيقة وهي التي تحدثت طويلا عن الفردية والشخصية ، واختلاف الامزجة وعدم تطابق النسـخ البشرية ؟ أوليس الفن في حد ذاته مزاج ؟ والفنانصاحب مزاج قد يجعله يتزوج كي ينتجأكثر ؟ . أو لايتزوج؟. « هيمنغواي تزوج ثلاثة ، مثلا ، والفنانون الذين عاشوا عزابا اقلية .. »

وثمة حكم أخرى كثيرةعنالشرفوالمجتمع والحرمان والحرية والفن والحب والتقاليد واوربا والخ ..

- ٢ -

الاسلوب الشعري التي تميزت به قصة (أيام معـه) يدلنا على أن كوليت سهيل شاعرة من الطراز الاول ، وان « انحرافها » لكتابة القصة لم يكن في الحقيقـة الا تأكيدا على صلاحيتها للشعر ... ان (ريم) في أيـام معه شاعرة ايضا ولذلك فالحديث عن الشعر تراه موجودا هنا وهناك ، وهو يدل بصورة من الصور على أن (ريم) أو (كوليت) تتمتع باطلاع شعري جيد ، وذوق ممتاز .. ان طرافة بعض الاجوبة في الحوار ، والصورالوصفية و « الديكور » المرسوم للحوادث والاشخاص يؤكد هذا الظل .. ثم ان مقدمة (أيام معه) تعبر عن اتجاه كوليت سهيل في الكتابة ، انها ، حسب ما كتبت ، تهب حياتهـا للحرف ، وهذا اتجاه للشعر اكثر منه للقصة ، ان«حرف» القصة حرف مبسط مستقطب ، بينما حرف الشعر هو الحرف الذي توهب له الحياة واللون .. ان الكلمةحينما تأخذ مكانها في القصة تساهم في انارة الحادثة .. ولكنها في الشعر تعطي الاحساس .. وهكذا فان (أيام معه) كان خطأ فيالاتجاه ... كان يجب ان يـكون ديوان شعر !!

وفي الحقليقة ان المدرسة الحديثة للشعر ، التي تهتم كثيرا باللفظة كنغم ولون هي مدرسة كوليت سهيل حتى في قصتها ..

وكبرهان مبسط لهذا الكلام احب ان استعير شاعرا من رواد هذه المدرسة التي ذكرنا .. كي اقارن جملا من قصة أيام معه مع ابيات من شعره .. ان الشاعر الاكثر قربا ـ بمواضيعه ـ من موضوع القصة هو نزار قباني ، وعلى هذا الاساس سوف تحصل المقارنة .

تقول كوليت في (ص١٥٧) وهي عند الحلاق متذكرة حديث زياد : « هذه الخصلات السـود هي اماسي » المعطرة •• نظراتي تسكر من وهج سوادها •• هي انهار طيب يلذ لاصابعي ان تختفي في شلالاتها ، أحب شعرك بقدر ما أحبك •• بل أكثر •• » ثم تسأل بعد ما يقص الحلاق شعرها : « أين الشلالات •• أين العطور •• أين الليالي الحالكة الطويلة ؟ »

هذا كله يذكرنا ببيت نزار المشهور : يا شعرهـا على يدي شلال ضوء اسود وبقصيدته :

أقطعتها ارجوحـة الرصد
وفجعتني باعز ما عنـدي ••
كيف اجترأت على جدار شـذا
فهدمته وهـدمت لي سعدي ؟•
وحرمتني ضحكات مروحـة
يا طالما شهقت عـلى زندي ••
سكتت مظـلات الربيع فلا
نجدا ضحمت ولا صبا نجد ••

وفي ص١٢٨ هذا الحوار :

« وزرر معطفه ، ورمى الي من عليائه نظرة لئيمة هازئة وقـال :

ـ قبل ان تشرحي لي شيئا ، اسمعني نصيحتي ، تعلمي كيف تكونين امرأة •• انت لست امرأة •• واعادهـا باللغة الانكليزية ، وامسك لفافة اشعلها ببرود •• »

ان المزاج الشاعري ، وطريقة الرد متوفرة في ابيات نزار قباني كما هي في هذا المقطع :

« ••• لكنني
أبحث يا كبيرة العيون
يا فارغة العيون
عن الصلات المتعبة
عن الشفاة المخطئة
وأنت يا صديقتي
نقية كاللؤلؤة
وأنت يا سيدتي
من بعد هذا كله لست امرأة ••
هل تسمعين يا سيدتي ؟
لست امرأة !!

وفي ص ٣٢٨ جملة تتكرر روحيتها في أكثر صفحات الكتاب ، وهي روح شاعرة بلا شك :

« وفي برهة ثانية مرت أمـام مخيلتي جميـع قصص خلافاتي الماضية ، شؤون تافهة •• ولكن من هذه الشؤون تبني حياة الفرد اليومية •• »

ويقول نزار :

شؤون صغيرة
تمر بها أنت دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي ••

وتقول كوليت سهيل في ص ١٥٠ على لسان ريم :

« قدمت له الكأس وسيجارة ، وتـكومت عند قدميـه كقطة اليفة صغيرة ، ورفعت الطرف أتأمل في هذا الوجه الذي انطبع في عيوني •• »

ويقول نزار :

« فحين تدخن أجثو أمامك ••
كقطتك الطيبة ••
وكلي أمان ••
الاحق مزهوة معجبة
خيوط الدخان •• »

وفي صفحات كثيرة من القصة يدور الكلام حول الفن وهـل هو أكثر استحقاقا لـلاخلاص من الحب ؟ ففي (ص ٢٠٣) يقول زياد لريم :

ـ أنا رجل فنان •• أحب وأعبد فني كما تعلمين •• لكنني الآن أشعر بالجفاف يملأ نفسي أشعـر بيبوسة في أناملي •

ـ ولكن هذا ناتج عن عملك المرهق يا زياد •• أنت تعمل دائما وكثيرا •

ـ لا •• لا •• أنت لا تتركين لي مجالاً ! »

والصراع الدائر في داخل زياد بين فنه وبين حبه يعبر عنه في نواحي كثيرة من القصة ففي ص ٢٥١ يصيح :

« أنت لا تودين أن تسهري معي وتبقي معي الا تملكي كل وقتي •• فلا تدعينني أتنفس •• ! »

حتى ريم تقول في ص ٢٦٤ أن نصائحه « جعلتني أكره الفن الذي غدا رخيصا •• الفن الذي زاحمني وربح الحب•• الفن الذي جعل من هذا الشخص انسانا معدوم الشعور •• »

ويقول زياد في ص ٢٦٧ « أنت تضعين حولي الدوائر •• تحاولين صياغة حدود حياتي •• » ثم يتابع « أنت لا تقدرين أني فنان•• انك تحطمين فني بوضعك الحواجز حولي •• »

ويقول نزار :

لن تطفئي مجدي على
قدح وضمة ياسمين ••
ان كان حبك أن أعيش
على هرائك •• فاكرهيني••
فرقت أجمل ما كتبت
وغرت حتى من ظنوني ••
وكرهتني ، وكرهت فنا
كنت أطعمه عيوني ••
ورأيتني أهب النجوم
محبتي فوقفت دوني ••
شفتي ، سأبترها ولن
أمشي اليك على جبيني !

وفي وصف الثوب تلتقي مدرسة الحرف الملون المنغم بصورة أشد تلاصقا :

تقول ريم في (ص ٣٨٥) واصفة ثوب كوكتيل :

« نثر التفت الاخضر على أكتافي •• وحضن برفق نهدي ، وشد شد على الخصر الرقيق ، ليتدفق بغزارة شلالات ربيع على الاوراك •• »

ويقول نزار :

اتسدل يا طويل •• دس فوق نهد
زنبقي صلى عليه الضياء ••
انت ، يازارع الطريق حكايا
لو تعاد الحكاية الصفراء ••
لك ما شئت ، معصم وذراع
ثم نهد ، مخدة بيضاء ••
لك بالخصر وقفة ، وعلى الردف
انهيار ، وشهقة ، وانحناء ••

ان النفس الشعري نجده في هذا المجال متقاربا جدا•• ان كوليت سهيل التي تعترف في مطلع كتابها أنها من (عباد الحرف) تبرهن أنها فعلا تستطيع أن تكون شاعرة من المدرسة التي يشكل نزار قباني أحد روادها •

* * *

وبعد •••

ان قصة أيام معه ليست في مستوى الضجة التي أثارها « الصحفيون الادباء » حولها •• وهي لا تتميز بصدق موضوعها ولا ببساطة ادائها وبراعته ، ولا تتمتع باية صفة من صفات الكتاب الجيد الا بصفة الجمال في الغلاف ، ويدفعنا للقسوة في تقرير هذه الحقيقة أن الفرصة التي أتيحت لايام معه كان يجب أن تتاح لكتاب جيد •• وان الدعاية التي اصطخبت حول كوليت سهيل كان يجب أن تسلط على واحد من الموهوبين الذي يملأون وطننا العربي ، ولا يجدون شاريا لكتبهم •

ان نقدا أقسى يجب أن يوجه الى بعض (الادباء الصحافيين) الذين لا يعرفون مسؤولية الكلمة •• والذين لا يستحقون على الاطلاق شرف حمل القلم الموجه ••

انني أعرف انني أطلب مستحيلا حينما أرجو من الاديبة كوليت خوري أن تقبل اعتذاري فيما لو كنت أسأت اليها •• أو للحقيقة •

غسان كنعاني ـ الكويت

العدد الماضي في الميزان

دراسة

بقلم
عدنان الداعوق

لم يكن في نيتي أن أكتب هذه الكلمات القصيرة المختصرة في موضوع عافته النفوس وقرف منه الفن والادب .. موضوع النقد ، لولا أن أثارني للموضوع وحمسني للكتابة فيه الاديب الاستاذ « شريف الراس » في نقده لعدد ماض من الثقافة الغراء .

وقد تناول موضوع النقد كبار الكتاب في عالمنا العربي .. فامتلأت المجلات بفيض زاخر تتحدث عن النقد بين الماضي والحاضر .. حيث كان يفهم النقد في الماضي كتشريع كان يفسر الادب والفن ويشرح قواعده ويوضح أصوله ..

ثم تغيرت مهمة النقد تبعا لتغير الوان الادب وتعدد مراميه على مر العصور فصار يؤرخ للفن .. يحدد مدارسه ويضع مناهجه بل ويرسم له اتجاهاته .

ولن نستطيع أن ننكر ما للنقد من قيمة في سبيل تقييم أدبنا الحديث - ونحن على أبواب ثورة فكرية شاملة ..

فالكتاب يكتبون ويدفعون بانتاجهم الجم الغزير للمجلات .. وتنشر الكتب وتضيع بين أيدي الناس ولا يفطن اليها النقد الا لماما فتمتد ريشة واهنة هشة وترسم على خطأ كبير المعالم الخاطئة للاثر الادبي الذي أضاع فيه صاحبه نور العين وماء القلب ودفقة الوجدان .

وتظهر علينا الصورة الممسوخة للنقد الذي لا أصول له ولا قواعد .. وانما تنصب الصلات - غالبا - بين الناقد والمنقود سلكا من اعتبارات شخصية تتأرجح عليه شخصية الناقد في حركات بهلوانية مضحكة .

وأضحت عملية النقد - شقلبات - بهلوانية مزرية وأضحى مجال النقد السامي الرفيع ملعبا أو - سيركا - يعرض فيه النقاد متعهم المتهللة ويتبارى في مجاله الاصدقاء وضاعت معالم الادب الصحيح الذي يحاول أن يتوصل بها الكتاب الى ما قاله « رومان رولان »: « النقد هو المرآة التي تجلو غوامض الصورة وتحدد معالم الادب في كل عصر » .

ومن حيث لا يدري النقاد ، فان النقد مهمة صعبة يتعلق بها مصير الادب ويرتبط بنتائجها التطور الفكري .

فناقد اليوم لم يعد مجرد مفسر يشرح المنهاج ويوضح الطريقة ويبرر الاتجاه ويستطيب الذوق .. وانما هو بحكم الضرورة حارس التركة الذي يحفظ للاجيال تراث ما خلق من قبل ، وحامل النبؤة في تيار التطور لما ينتجه جيله .. بل وأكثر من ذلك على حد قول «مارسيل ايميه » : « انه الاخ الاكبر الذي يأخذ بيد شقيقه المعربد ليخطو به نحو مستقبل خلال ما يتعرض حاضره من مشاكل واتجاهات واراء وميول ونزوات قد تنتهي به الى الانتحار أو الغرق » .

وصورة الناقد الصحيح عند فئة من الادباء والنقاد تتفاوت بدرجات مختلفة فهي عند « ر . ب . بلاكمور » .. « جراح سحري يجري العملية دون أن يقطع الانسجة الحية » .

وهي عند « كونستانس روك » .. « مسمد .. يرش الارض من أجل حصاد طيب » أما عند « ولدو فرانك » .. « فهو - مولد ، يظهر للوجود نسمة جديدة » . غير أنها عند « كنث بيرك » ... « هي صورة مدير المسرح

الذي يخرج للنظارة المشاهد المختنقة » •

وعيب العيوب أن يجعل الناقد عمله النقدي عملا منفصلا عن الاثر الفني نفسه •• وقد عبر عن ذلك « بلاكمور » فقال •• « النقد شيء قائم بذاته ولكنه ليس بحال من الاحوال فنا منفصلا مستقلا •• » •

وهذا الانفصال ذاته يجعل منه كثير من الادباء ومن الذين نصبوا من أنفسهم أئمة للنقد مجالا يبرزون فيه ـ نقدهم ـ وكأنهم يقدمون عملا ادبيا أو قطعة فنية لا علاقة لها البتة بالعمل المنقود •

وذلك ما فعله الاديب الاستاذ « فاضل السباعي » حين تطاول على النقد وقدم لقراء مجلة الثقافة نقدا لرواية الاستاذ « صباح محي الدين » ـ خمر الشباب •

ولقد أثار الاستاذ « السباعي » سخط القراء بنقده المشوه لرواية الاستاذ « محي الدين » ونال هذا الاخير ـ من حيث لا يدري ـ حكما ولكن ليس عادلا•• انما هو تبعة النقد الذي أتاه زميله السباعي •

ولن أضرب الامثال على النقد والاعمال الفجة التي يحاول ـ بعضهم ـ من أمثال الاستاذ « السباعي » أن يتبوأوا بها المكانات العليا •

وسوف أقيس ـ هنا ـ مثلا بسيطا حدث معي بالذات••

فقد أصدر الاستاذ« السباعي » منذ مدة مجموعة قصص قصيرة بعنوان « الشوق واللقاء » وقدم الي مجموعته شاكرا •• فتناولتها بالبحث والدراسة ونقلتها ولكن ليس بنقد ـ انما في محاولة تعريف للقصص وللقاص لمجلة « الادب » في القاهرة •

وأعطيت بذلك صورة لعمله هذا •• معترفا أن بيني وبين النقد مسافات بعيدة ولها في ذلك قواعد واصول •

وصدرت مجموعتي القصصية « ذات الخال » في العام الفائت بالقاهرة •• وقدمت بدوري للاستاذ السباعي الكتاب فتفضل ونقده •• وقد أقول عمل في الكتاب كل شيء ولكنني أخجل من أن أقول أنه نقده •• ـ فللنقد قواعد وأصول ـ

وأذكر يومها أن كتب في مجلة «الاداب» كلاما يناقض الكلام الذي سقته في أول هذا الحديث على لسان كبار معلمي النقد والادب••وجعل من ـ نقده ـ مقالة منفصلة تمام الانفصال عن الموضوع الذي نوى أن يكتب فيه •

وقد ضحكت كثيرا مما جاء على لسانه •• فمن سبيل المثال،كان يتحدث عن قصتي التي ضمتها المجموعة والتي بعنوان « عشرة قروش » ••

كنت أسوق على لسان البطل الطفل عبارة « ومسح القطعة الفضية بطرف بنطاله••» فأخذ الاستاذ «السباعي» القصة من هذه الكلمة •• ترك كل شيء قد يتعلق بالقصة وقال:«المعروف أن قطعة العشرة قروش هي من القصدير وليست من المعدن » • وراح يتحدث بلسان عالم •

وبالطبع حملت ما جاء في كلامه من مختلف العبارات القاسية التي تشبه الشتيمة والسباب على محمل حسن •• وكتبت لصاحب « الاداب » كلمة رصينة مؤدبة مهذبة أرد فيها على شتمات الاستاذ السباعي •• ولكن بادب وتهذيب ••

ولكن الكلمة أهملت عند صاحب « الاداب »••فربما أراد مني أن أبدو له كما بدا الاستاذ « السباعي » •• وأنا عمري ما تطاولت على أحد حتى ولو تطاول وشتمني •• لانني أعتبر احترام النفس قبل احترام الاخرين •

ومصيبة المصائب اليوم ذلك الذي نصب من نفسه ناقدا •• وراح يصب جام حقده وجهله وغروره فوق رأس من يكتبون ومن يقرأون ومن يسمعون كذلك •

واحد لم يقرأ في حياته مسرحية واحدة يقوم فيعالج النقد الدرامي •• وآخر لا صلة له بالشعر وقد يعجز عن فهم بيت واحد يقوم ويهدم شعر ديوان كامل بتهكم مرير واستخفاف مهين •

وأناس يقارنون ما ينقدونه باعمال « اليوت وميللر وتلستوي » لمجرد أنهم سمعوا عنهم من آخرين أوقرأوا عنهم في الصحف ••

وبعضهم يفور ويغلي حماسا حول سيمفونيات بيتهوفن واوبرا فاجنر وباليه البجعة الطائر لتشايكوفسكي وهو لا يعرف من الموسيقى حرفا واحدا •

تعليق على نقد

بقلم : محمد علي اسبر

لفت نظـري امس طالب جامعي الى نقد الاستاذ محي الدين صبحي المنشور في العـدد السابع من هـذه المجلة تحت عنوان (العدد الماضي في الميزان)(١) •

ان النقد ضروري جدا لازدهار الحياة الادبية ، وقد كان بودي أن أكتب الى الاستاذ صاحب الثقافة أطلب منه تخصيص صفحـات للنقد الادبي واللغـوي لاني رأيت أخطاء لغوية في مقالات سابقة •

بحثت عن العدد ، وقرأت النقد ـ نقد الشعر ، ولكن هل خرجت مـن القراءة بالنتيجة المنشودة ؟ وبتعبير ثان هل رأيت النقد منصبا على القصائد ، على نحو يمكن أن يسمى معه « نقدا » ؟ •

أجزم انني لا أكون مطريا للناقـد ولا متحاملا عليه اذا قلت ! انه تناول بعض القطع بتحليل قد يسمى نقدا من بعض الوجوه ، أما القطع الاخرى فلا أستطيع أنا ولا غيري أن يسميه نقدا •

فمن ذلك نقده لقصيدة السيدة عزيزة هارون ، قال ! انها تمتاز بمقدرتها على لزوم مالا يلزم مما يجعلها أجمل حين الا لقاء منها حين القراءة •• أهذا نقدا ؟

وأين النقد في قصيدة (كن الهـا) التي قـال عنها ! لها صفات شعر الشاعر رفيق الفاخوري مع الاستغناء عن اللغة الفصحى •• وكم كنت أتمنى لو أثبت صحة زعمه فاشار الى المواضع التي استغنت فيها هذه القصيـدة عن الفصحى •• ولعل ماهو أطرف من كل هذاقوله : واظن أن البيت التالي مكسور جدا •

أنت لا عقل ، لا معارف ، لا رأي
جهول ، وهل (تجهل) جهولا ؟

أرأيت ؟؟ يظن !! كـان الاولى ان يزن البيت ليصبح الظن يقينا •• وانا اؤكـد أن البيت على الوجه المذكور مكسور حقا لان حقيقة •

البيت هي :

والسؤال الان : الى أي حد يمكن أن نقيس موقف هؤلاء النقاد •• ؟

وما الاسم الصحيح الذي يمكن أن نطلقه عليهم •• ؟

* * *

لم أشأ أن أتحدث في الامر بشكل موسع وبالتفصيل •• لانني أعتبر ـ قبل كل شيء ـ ان كلمتي هذه تابعا لكلمة الاستاذ «شريف الراس» وموقفه تجاه الاستاذ «السباعي» •• الذي أعتبر نفسه ـ أي السباعي ـ ناقدا وما هو بناقد انما تأثـر فيما كتب بعوامل الصداقة والرابطة التي قـد تربطه بالاخرين •

فاذا ما أراد « السباعي » أو غيره كتابة مقال ما فليفعل •• أما أن يقول أنه يكتب نقدا فهذا مالا يرضاه العمل الادبي نفسه الذي ينتظر بالحسرة والامـل حـكم النقد حتى يستبين الامر ويتوضح المقصد •

وليس لي في الختام الا أن أسوق هـذه العبارة التي جاءت على لسان الكاتب الكبير « جوستاف فلوبير » حين كتب مـرة الى « جورج صاند » عـن موضوع الناقدين يقول :

« ••كان الناقدون في زمن « لارهاب » نحويين ، وفي أيام « سانت بيف » و « تين » مؤرخين••فمتى يصبحون فنانين حقا وصدقا •• ؟

ولكلا الاستاذين « شريف الراس »و« فاضل السباعي» أصدق التحية والاحترام •

حمص : عدنان الداعوق

أنت لاعقل ، لا معارف ، لا رأي

جهول ، وهـل تجهـل جهولا

والخطأ مطبعي ، ونظرة عابـرة الى البيت ترشد الى أن الكلمة (تجهل) لا تجهل .

ونزيد الناقـد ايضاحا فنقول له : ان في القصيدة بيتا آخر مكسور جدا وهو :

تخفـض الهـام تحت وقـدة عينيه

وتعنـو لـديــه عبـدا ذليـلا ـ

بينمـا ورد البيت هكذا :

تخفض الهام وقدة .. الخ ، والخطأ مطبعي أيضا ..

بيد أن الذي أعجبني من نقد لاستاذ محيي الدين هو طلبه من كـل شاعر أن يتجه نحو الشعر الحديث .. ولذلك أشار على السيد باكير محمود أن يقرأ : السياب .. وقباني .. ونازك ..

اصغ اليـه وهو يقـول في مقدمته التي تستحق مقالا منفردا .. (ليس فيها سوى القليل مما تمكن قراءته ، والاحساس بأن فيـه شعـرا حقيقيا ينفح القارىء بدفقة شعورية تمكن وراءها تجربة معاشه) .. الخ .

ومع أن جملة (تجربة معاشه) تنطوي على غموض معقد ، فأني أظنه يعني بتجربـة المعاش هـذه ما أسموه (شعر الالتزام).. فيا أستاذ محيي الدين ان هذا الذي تسميه أنت شعرا لان الشعر العربي معـروف بأنه مقفى موزون ، وشعرك ـ المعاشي لا وزن له ولا قافيه ، ومـن الغريب أن تنقم على السيد رفيق فاخوري لانه يخالف ـ فيما سمعت أنت ـ عمدا كل مفهوم للشعر الحديث ..

وأنا أعتقد ياأستاذ محيي الدين أن الغايـة من نظـم الشعر هي الابداع لا الاتجاه نحو الشعر الحديث ، هذا الشعر الذي اقترح أن يسمى « الشعر المشنوق » اذا كان لا بد من تسميته شعرا،وذلك لانه يموت في ليلة الميلاد..

النقد يجب أن يتناول القطعـة الشعريـة باحثا فيها ! الاسلوب ـ الافكار ـ المعاني ، البلاغـة ، .. الخ أمـا نقد الاستاذ صبحي فهو في دنيا أخرى .. هو لا يعجبه الاستاذ احمد الصافي النجفي الشاعر الـكبير لانه يذكر الكسائي ، والاخفش وهما قديمان حقا . ولانه لا ينظم شعرا من نوع !

وشربت شايا في الطريق ..

وأقذفي تلك الرسالات بسلة المهملات ..

ولا تروقـه قصيدة الفاخوري ولا (كن الهـا) لان اللفظ فيها مفصل على قدر المعنى ، ويعتبر ذلك من مزية النشر العلمي .

شيء عجيب !! اننا لو أخذنا بنظريـة الناقـد لجردنا أدبنا العربي قديمه وحديثه من أروع ما فيه . اسمع ما يقوله الأب رفائيل اليسوعي في كتابه مقالات نقديـة على أدبنا العصري صفحة ١٩٤ « ان التعبير ثوب المعاني ، فلا بد أن يفصل على قدرها بـدون اطالـة ولا تقصير ولولا ذلك لبات الكلام الادبي ثرثرة باطلة » .

وبعد ، فأي انسان في الدنيا يقر الناقد على قوله ! ان الشعر يجب أن يـكون غامضا حتى يحمل معنى الرمز وتكون القصيدة الجيدة كالماسة لها عديد من الوجوه فيراها كل قارىء من زاويته .. الخ .

أرأيت أيها القارىء !! غموض .. ورمز .. ويراها كل قارىء من زاويته .. يعني اذا قرأها التاجر تعجبه لانها تحقق حلمه في الربـح الحلال .. واذا قرأها المهندس والطبيب .. و .. حتى تغدو القصيدة « كالماسة » ، بل كالدنيا .. « وبس » .. أنا لم أقرأ للاستاذ صبحي شعرا ولكني قرأت له هذا النقد فقط « وأظنه » بدا فيه امـام نفسه شاعرا لاني رأيته يستعمل جملا تمتاز (بالغموض الحلو) كما يسميه في مقدمته ومنها:ان السيالة الشعورية لا تبرز .. والشفافية البريئة .. وتجريدات جمالية.. ما رأي القراء ؟؟ .

هـل هـذه التعابـير ذات (غموض حلو) أم (ابهام مستغلق) ؟؟

وأعود فأقول :

ان النقد ضروري لازدهار الحياة الادبية .. أمـا أن يكون على الوجه الذي (ابتكره)الاستاذ صبحي فليعذرني اذا قلت له أنه لا يظفـر من القـراء الا بابتسامات ذات (غموض حلو) .

جبلة ـ محمد علي اسبر

ـ البقية آتيـة ـ

ادفيك شيبوب

وكتابتها عن جبران

بقلم : عيسى فتوح

ما أكثر الكتب التي ألفت عن جبران ! وما أكثر الموضوعات التي تناولت قطاعات من حياته ! قدرتها على حدة ، كلها تحاول أن تكتشف هذا الانسان ، وأن تخرج بآراء فيه ، .. ولم يكن هذا التأليف عن جبران مقتصرا على الشرق وحده فحسب ، بل تناولته أقلام أمريكية ، ذلك أن جبران قضى أكثر حياته في بوسطن وفي الحي الصيني القذر ، وتعرف هناك بماري هاسكل، وتعرف بمبشين ، وتعرف آخر الامر ببربارا بونغ ، التي كتبت عنه كتابا رائعا بعنوان : « رجل من لبنان » قدسته فيه تقديسا يقرب من التأليه !! والمعروف أن جبران قرب هذه الكاتبة منه في السنوات الاخيرة من حياته .

ثم تتابعت سلسلة التأليف عن جبران في الشرق،فكتب الدكتور جميل جبر (مي وجبران) والاب الياس زغبي (جبران خليل جبران) وحبيب مسعود الاديب البشراني المهاجر (جبران ميتا وحيا) ثم كتب مخائيل نعيمة كتابه الضخم (جبران خليل جبران) تناول فيه حياة رفيقه من المهد الى اللحد ، أو كما يقول من (وع .. وع الى نمر .. نمر) فجاء الكتاب أروع سيرة يمكن أن تعتز بها المكتبة العربية ، بالرغم مما اتهم به من اتهامات،وحمل عليه من حملات ، أخص بالذكر منها حلة الاديب الكبير مارون عبود في كتابه (جدد وقدماء) .

ولكن ترى هل كتب نعيمة كل شيء عن جبران ؟ هل تتبعه حقا من المهد الى اللحد ؟ بالطبع لم يتسن له ذلك ، مع أن نعيمة يعد ألصق الناس بجبران،وأكثرهم معرفة بخصاصياته ، من جراء تلك الصداقة التي أدت الى أن يبوح كل واحد للآخر بأسراره وخباياه .

ومع ذلك فقد ظلت هنالك حلقة مفقودة من حياة جبران ، لم يستطع نعيمه أن يرسم خطوطها الاساسية ، ولم يستطع أن يلم بها الا من أطرافها ، فبقيت مشوشة متلفعة بالضباب لم يتح لغير الحويك أن يتعرف أسرارها ويتحسس خلجاتها ، هذه الحلقة هي السنتان اللتان أمضاهما جبران في باريس يدرس الرسم والنحت على حساب ماري هاسكل ، السيدة الاميركية التي تبرعت له بخمس وسبعين دولارا ترسلها له كل شهر .. وشاء القدر أن يلتقي هناك بزميله القديم يوسف سعد الله الحويك الذي درس معه العربية على الخوري يوسف الحداد في مدرسة الحكمة ببيروت ، .. سنتان مفعمتان بالذكريات ، ذكريات شابين لبنانين ، يلتقيان مرة أخرى في باريس ، وفي الحي اللاتيني ، ملتقى الادباء والفنانين وطلاب العلم من كل أطراف المعمور .. عاد جبران الى أميركا ، وقفل الحويك الى لبنانه ، وحفرت الذكريات صورتها في نفس الصديقين ، ثم يموت جبران وتنطوي معه أسراره ، ويبقى الحويك يعاني مر الآلام ، تزداد حسرته كلما غابت نفسه في ضباب سنتي ١٩٠٩ و١٩١٠، واستحضر في خاطره صورة جبران وهما يفدان معا الى مقهى (الدوم) أو مطعم (دي بوده) أو يتحدثان الى الآنسة مارتين ، أو الآنسة روزينه عن الحب والزواج ،

وعن لبنان الجميل ..

نعم انها ذكريات محزنـة ، يستعيدها خاطر الاربـع والسبعين سنة !! وهو يأبى أن يبوح بها ، حتى كادالاجل يوافيه ، كما وافى مـن قبل صديقه الاول جبران وكما وافى الريحاني صديقه الآخر .. ولكن السيدة ادفيك جريديني شيبوب - الحريصة على احياء هذهالذكريات- استطاعت - كما تقول - بمحبة مخلصة وبكثير من القوة والاقناع،أن تستروي صديقها الفنانالشيخ هذهالذكريات الحنون القريبة الى قلبه - ذلك القلب الرحب الذي لـم يسبق لاحد من الناس أن قرأ سطوره النابضة حـرارة واحساسا .

التقطت هـذه الذكريات من فم الفنان الشيخ وصاغتها بأسلوبها الادبي الرشيق ، وبأناقتها اللفظية الحلوة ، التي سـبق لنا أن تبيناهـا في كتابها « بوح » ، ثـم صبتها في « ذكريات مع جبران » الكتاب الذي أحدث ضجة أدبية كبرى في لبنان ، لما حوى مـن أخبار وحوادث حصبة ، أزالت الغموض الى حد ما - عن شخصية جبران الملفعة بضباب الاسرار والغيبيات والرؤى والاحلام .

يوسفالحويك شاب لبناني ، ومن قرية تدعى (حلتا) غادر لبنان الى روما بايعاز من عمه البطريرك ذي النفوذ الكبير آنذاك،وهربا من الاستبداد والظلم اللذين نشرهما المحتلون في كل رقعة من أرض لبنان وسورية .. وبلغه ذات يوم أن جبران قد هبط باريس ، قادما من بوسطن في أميركا الشمالية ، للاطلاع على الحركة الفنية،ولاتقان الرسم ، فغمرت البشرى قلب الحويك ، وقام الى أمتعته يحزمها برشاقة وخفة ، وقلبه يرقص فرحا ، ثم أستقل أول قطار مسافر الى باريس .

والطريف - كماتقولالسيدة شيبوب - أن الصديقين كليهما من مواليد السنة ذاتها ، ولد جبران في ٦ كانون الاول ، والحويك في ٩ آذار سنة ١٨٨٣ ، وقد ذكرنا أنهما التقيا على مقاعد مدرسة الحكمة ، يوم أمها جبران من بوسطن لدراسة العربية واتقانها .

التقى الصديقان في باريس ، مع كل ما يرافق هـذه اللقيا من حرارة وقوة واندفاع ، وسكنالطالبان في الحي اللاتيني حيث تصطرع العقائد والاهواء ، وتنشأ وتعصف وتهب على العالم التيارات الفكرية والفنية والادبية ، .. وفي باريس عروس الدنيا الدائمة النضارة والفنون ،التي تهب ابناءها كل ما تشتهيه القلوب الفتية ، الطامحة الى كل جديد وجميل ، وفي باريس حيث يجد كل انسان منتهى مناه ، حتى طالب العزلة ، كان الشابان اللبنانيان - جبران والحويك - يتمرنان معـا على الرسم ، ويدفعان أجـرة « الموديل » دوريا للاقتصاد ، همهما الاول الوقوف على تطور الحركة الفنية ، لـكنهما لم ينزلقا في تيار الثورة الجنونية ، التي قد بدأت تجتاح الحي اللاتيني وروافده الدافقة من أوروبا ، وانما ظـلا معتدلين في نطاق المنطق الفني ، أو قل « كلاسيكيين » .

وفي آخر عام ١٩١٠ عاد جبران الى امريكا والحويك الى لبنان ، ثـم وقعت الحـرب العالميـة الاولى وأنقطعت الصلات تقريبا بين الشرق والغرب. وفي أمريكا انصرف جبران الى الـكتابة والتأليف في الانـكليزية والعربية ، وراح يبني مجده الفني والادبي،حتى وقعمنهالامريكيون في حيرة ، وطفقوا يتسابقون للتعرف الى هذا الغريب من أرض لبنان ، كل يريد أن يتفهم معنى رسومه الغامضة ، وكل يفتح لـه سبيل الشهرة التي أفنى في سبيلها جسده وصحته الى أن انطفأ النور في عينيه الساعة الحادية عشرة ليلا من عام ١٩٣١ وهو يردد « لقد تحرق حبك علىمذبح شهوتك ياجبران ! أنت مصاب بداء الـكلام ياجبران . لانك تخجل من كلمافيك من ضعف بشري تعكف عليه فتستره بحلة من الكلام الجميل والالوان البهيجة .. »

أما الحويك فقد غادر لبنان الى روما فباريس مـرة أخرى ، هاربا من المشانق التي أخذت تفتك بالاهلين ، وغرق في حمأة السياسة الى أذنيه ، يسلط على الانتداب سهام حقده ، ثـم انضم الى فيصل الاول ، ورافقـه الى العراق ، حيث استقر الامر بالمليك ، وفي العراق استطاع الحويك أن يـرتاد المتاحف ودور الآثـار ، وأن يمتن صداقته بفيصل الذي عاد فدعاه لاحياء ذكـرى « شهـر

زاد » في حديقة غناء وعلى ضفاف دجلة ، واستمرت الصداقة الى أن توفي الملك فيصل في السنة ذاتها في مدينة لوسرن •

وبعد خمسة عشر سنة عاد الى وطنه لبنان ، يرقب عن كثب مأساة الفنون الجميلة التي يعانيها الشرق العربي•• وفقد صديقه الريحاني ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية، فاعتزل الناي وانزوى في قريته الحالية (عورا) وهي بضع بيوت بجور دوما في شمالي لبنان ، يقضي أنضح سني عمره في خدمة الارض ، وبازميله وأنامله ، يتلهى عن واقعه المرير ، بتحويل الصخور المشرئبة ، في حنايا الحديقة الى رؤوس لعذارى أحلامه ، •• لعلها قريبة الشبه برفيقاته الباريسيات أولفا وروزينه وسوسان •

وهكذا •• فان كتاب السيدة شيبوب جاء يحوي أدق التفصيلات ، والصق الذكريات بكلا الشابين اللبنانين ، ذكريات لم يتح لاحد أن يلم بها قبل اليوم ، اذ كانت مدفونة بقلب الحويك ، لا يبوح بها •• وأقول أخيرا لو استطاع نعيمة أن يسد ثغرة كتابه بحوادث السنتين اللتين لم يشر اليهما الا اشارة جزئية •• لو استطاع ذلك لجاء كتابه تحفة أدبية لا مثيل لها في سيرة جبران خاصة، ولا في فن السيرة عامة••ولا يسعنا الا أن نقف شاكرين للسيدة شيبوب اهتمامها باستخراج هذه الذكريات ووضعها في كتاب يعد تكملة لكتاب نعيمة ••

عيسى فتوح ـ دمشق

فهرس العدد

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanerab.com رابط بديل

صدر حديثاً

عن دار الثقافة في دمشق

ذاكر يا ترى	مجموعة قصص	خديجة الجراح النشواتي
أغان بوهيمية	شعر	سليمان عواد
الفصل الجميل	مسرحية للأطفال	عادل أبو شنب

تحت الطبع :

زهرة البركان	مسرحيات	خليل هنداوي
جامعيون	قصة	محي الدين صبحي

(السعر ١٠٠ ق٠س أو ما يعادلها)

مطبعة الجمهورية بدمشق